غرانديزر أيقونة الوجدان العربي ومرآة لمآسي المنطقة

ص5

داود عبدالسيد

المخرج الذي أبصر ما لم يبصره الآخرون

ص8

ميليشيات مصراتة تتبنى دعوات الإطاحة بالدبيبة

ص2

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الإثنين 2025/12/29 - 09 رجب 1447

السنة 48 العدد 13697

Monday 29/12/2025

48th Year, Issue 13697

www.alarab.co.uk

تحقيقات قضائية في إيطاليا تفتح نقاشاً واسعاً حول التبرعات لغزة

روما تعتقل 9 للاشتباه في تمويلهم حماس عبر جمعيات خيرية

روما - تفتح التحقيقات التي أعلنتها السلطات الإيطالية في مدينة جنوة السبت بشأن توقيف تسعة أشخاص يُشتبه في ضلوعهم بجمع وتحويل أموال عبر جمعيات خيرية، نقاشاً واسعاً في إيطاليا وأوروبا حول حدود التداخل بين العمل الإنساني، والنشاط السياسي المرتبط بالقضية الفلسطينية، والسياسات الأمنية المتشددة التي تبنّتها دول غربية منذ اندلاع الحرب على قطاع غزة في أكتوبر 2023. فالقضية، التي تقول النيابة الإيطالية إنها تتعلق بتحويل أموال يُعتقد أنها وُجّهت إلى جهات مرتبطة بحركة حماس، لا تقتصر على بعدها القضائي، بل تمتد إلى سياق سياسي داخلي وإقليمي ودولي شديد التعقيد.

ومن الناحية الإجرائية، تُعد العملية واحدة من أوسع التحقيقات من هذا النوع في إيطاليا، إذ نُفذت بالتنسيق مع دول أوروبية أخرى، من بينها هولندا، وبمشاركة الهيئة القضائية الأوروبية «يوروجاست».

ويعكس هذا المستوى من التنسيق إدراكاً أوروبياً متزايداً بأن قضايا التمويل العابر للحدود، خاصة تلك المرتبطة بمناطق نزاع مفتوحة، لم تعد شأناً محلياً، بل باتت جزءاً من منظومة أمنية وقضائية أوروبية أوسع، تتداخل فيها الاعتبارات القانونية مع الحسابات السياسية.

الإجراءات الأمنية الإيطالية لا يمكن فصلها عن الموقف السياسي من حرب غزة وعن دعم روما لإسرائيل

وبحسب ما أعلنته السلطات، فإن المشتبه بهم، ومن بينهم شخصيات معروفة في أوساط الجالية الفلسطينية في إيطاليا، يُعتقد أنهم شاركوا في شبكة مالية قامت بجمع أموال قُدّمت رسمياً على أنها مخصصة لأغراض إنسانية، قبل تحويلها إلى جهات تقول السلطات إنها على صلة بحركة حماس.

وتشير التحقيقات إلى أن قيمة هذه التحويلات بلغت نحو سبعة ملايين يورو خلال عامين، فيما صادرت السلطات أصولاً تُقدّر قيمتها بأكثر من ثمانية ملايين يورو. ومع ذلك، تؤكد النيابة أن جميع هذه الاتهامات لا تزال في طور التحقيق، ولم تصدر بحق الموقوفين أي أحكام قضائية نهائية.

وتعيد هذه القضية إلى الواجهة إشكالية مزمنة تواجهها الدول الأوروبية منذ سنوات، تتمثل في صعوبة التمييز بين الدعم الإنساني المشروع للشعوب المتضررة من النزاعات، وبين الدعم الذي قد يُستغل – وفق تقديرات رسمية – في مسارات سياسية أو عسكرية. فالجمعيات الخيرية، خصوصاً تلك العاملة في سياق القضية الفلسطينية، تتمتع بحساسية اجتماعية وإنسانية خاصة، ما يجعل أي تحرك أمني بحقها محاطاً بجدل واسع، ويثير مخاوف من تجريم العمل المدني أو التضييق على الجاليات المعنية.

وتقرّ المؤسسات الأوروبية نفسها بأن تشديد الرقابة المالية يجب أن يتم ضمن توازن دقيق، يضمن حماية العمل الإنساني وعدم الإضرار بالمتبرعين الشرعيين، في مقابل الالتزام بالقوانين المالية ومنع إساءة استخدام الأطر القانونية. غير أن هذا التوازن يبدو هشاً في ظل تصاعد الاستقطاب السياسي حول الحرب على غزة، واتساع الفجوة بين مواقف الحكومات الأوروبية وقطاعات من الرأي العام.

وفي الحالة الإيطالية، يتضاعف هذا الجدل بسبب السياق السياسي الداخلي. إذ تُعد حكومة رئيسة الوزراء جورجيا ميلوني اليمينية من أقوى حلفاء إسرائيل في أوروبا، وقد أثار دعمها لتل أبيب خلال الحرب على قطاع غزة احتجاجات شعبية واسعة ومتكررة في إيطاليا.

وشهدت مدن كبرى، مثل روما وميلانو، تظاهرات حاشدة مؤيدة للفلسطينيين، عبّرت عن رفضها للموقف الحكومي، واعتبرته انحيازاً سياسياً يؤثر في طريقة تعامل الدولة مع القضايا المرتبطة بفلسطين.

وفي هذا الإطار، احتشد ناشطون إيطاليون مؤيدون للفلسطينيين في مدينة ميلانو احتجاجاً على الاعتقالات الأخيرة، ونددوا بالعملية التي نفذتها الشرطة، واعتبروها جزءاً مما وصفوه بحملة «قمع وتجريم» تستهدف النشاط السياسي والإنساني المتعلق بالقضية الفلسطينية.

تشابك المال والسياسة

وقالت منظمتا «الشباب الفلسطيني في إيطاليا» و«الاتحاد الديمقراطي العربي الفلسطيني» إن للفلسطينيين، كغيرهم من الشعوب الساعية إلى تقرير المصير، حقاً مشروعاً في المقاومة.

ويعكس هذا الحراك الشعبي اتساع الهوة بين الخطاب الرسمي للحكومة الإيطالية، والخطاب السائد لدى شريحة من المجتمع المدني، التي ترى أن السياسات الأمنية الحالية لا يمكن فصلها عن الموقف السياسي العام من الحرب على غزة، وعن الدعم الذي تقدمه الحكومة الإيطالية لإسرائيل في المحافل الأوروبية والدولية.

ويزداد المشهد تعقيداً مع دخول البعد القانوني الدولي على الخط. ففي أكتوبر الماضي، أعلنت ميلوني في مقابلة مع التلفزيون الحكومي الإيطالي (راي) أنها، إلى جانب وزيري الخارجية أنطونيو تاياني والدفاع غويدوكروسيتو، تواجه اتهامات بالتواطؤ في جرائم ارتُكبت في غزة، وذلك في إطار دعوى رفعتها منظمة حقوقية فلسطينية أمام المحكمة الجنائية الدولية.

نعيم قاسم لواشنطن: لا تطلبوا منا شيئاً بعد الآن

بيروت - توجه الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم الأحد برسالة إلى الولايات المتحدة، مفادها "لا تطلبوا منا شيئا بعد الآن"، إلى حين تنفيذ إسرائيل التزاماتها بوقف إطلاق النار.

ولم تخل نبرة قاسم في كلمة له في ذكرى وفاة القيادي في الحزب محمد ياغي، من حدة وبدت كلمته مغايرة عن خطاباته في الفترة الأخيرة التي كانت موجهة بالأساس لانتقاد الحكومة اللبنانية واتهامها بتقديم تنازلات مجانية لإسرائيل.

وربط مراقبون عودة رسائل حزب الله إلى الولايات المتحدة بما يجري تداوله عن نية رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الحصول على ضوء أخضر من الرئيس الأميركي دونالد ترامب لشن عملية موسعة ضد حزب الله، وحتى إيران.

وقال الأمين العام لحزب الله إن لبنان اليوم في قلب العاصفة بسبب الولايات المتحدة وإسرائيل، اللتين حملهما مسؤولية عدم الاستقرار في البلاد والكثير من المشكلات والتعقيدات التي أصابت اللبنانيين.

وأوضح قاسم أن الولايات المتحدة هي من رعت الفساد في لبنان وحمت رؤوسه، وعملت منذ عام 2019 على تخريب الوضع الاقتصادي، وتعمل على الوصاية واليوم تتحكّم في الكثير من المفاصل في البلد.

ولا يبدو كلام قاسم بشأن الفساد مقنعاً، فحزب الله كان صاحب اليد الطولى في لبنان والمتحكم بالوضع الداخلي، على مدى العقود الأخيرة، وبالتالي هو طرف رئيسي في الفساد الذي ضرب لبنان وأدى إلى شلله اقتصاديا.

وربط قاسم في كلمته سيادة لبنان ببقاء السلاح قائلا إن "هناك قضيتين مطروحتين؛ الأولى نزع السلاح من قبل الأميركي والإسرائيلي، والثانية هي استعادة السيادة في لبنان من خلال طرد إسرائيل واستعادة الدولة".

وقال قاسم إن "إسرائيل تحتلّ لكن كم ستستمر باحتلالها؟ والاحتلال يواجه مُكتسبات وأمامنا تجربة 42 سنة عطّلنا ما تريد إسرائيل، والدولة نجحت في لبنان لأن فيها مقاومة وأخفقت في سوريا لأنها ليست فيها مقاومة"، وأكد أنه "مضى أكثر من سنة على الاتفاق وتقديم وعطاء من الجانب اللبناني، فيما الإسرائيلي لا يملّ ولا يتوقّف".

ولفت إلى "أن الحكومة اللبنانية أضافت تنازلات مجانية بينما إسرائيل لم تقدم شيئًا، وأنا متعجّب من الذي لا يرى ما هو المطلوب من إسرائيل ويحاول أن يفسّر الاتفاق بمزيد من المطالب على حزب الله ولبنان".

وتحاول الدولة اللبنانية إقناع حزب الله بضرورة التخلي عن سلاحه، وبالفعل سمح الحزب المدعوم من إيران بتفكيك قدراته في جنوب الليطاني، وانتشار الجيش، لكنه يرفض بشدة تسليم كامل السلاح.

ويتذرع حزب الله بأن بقاء السلاح هو للحفاظ على لبنان، في المقابل يقول خصومه وجزء كبير من الشارع اللبناني إن هذا السلاح هو في الأصل لخدمة إيران وأجندتها في المنطقة، وإنه لم يجلب للبنان سوى الويلات، وآخرها المواجهة الأخيرة مع إسرائيل، بدعوة إسناد غزة.

وشدد الأمين العام لحزب الله على أن "ما أنجزه الجيش اللبناني من انتشار كان مطلوبا أن ينجزه بحال أوقف العدوان الإسرائيلي والانسحاب وبداية الإعمار، ومع ذلك سهلنا والجيش انتشر، أما مع عدم تنفيذ العدو الإسرائيلي لأي خطوة من خطوات الاتفاق مع آلاف الخروقات فإنه لم يعد مطلوبا من لبنان تنفيذ أي خطوة إضافية قبل تنفيذ إسرائيل لشروط اتفاق وقف النار، ولا تطلبوا منّا شيئًا بعد الآن".

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

ما بعد النفط.. الخليج يعبر إلى فجر حضاري جديد

التحول الاقتصادي في دول الخليج، المكون الرئيسي، في رؤى مثل "السعودية 2030" و"مئوية الإمارات 2071، ليس مجرد برنامج تنموي طموح أو خطة استباقية ذكية. لقد تجاوز هذه الغايات ليتحول إلى مسألة أمن قومي وجودي، وإستراتيجية للبقاء والاستمرار مع تسارع الاتجاه نحو تقليص الاعتماد على الهيدروكربون. هذا التحول يشكل قفزة كبيرة في التاريخ الحديث للمنطقة، التي تختبر دولها قدرتها على إعادة تشكيل الهوية الاقتصادية والاجتماعية من قلب ثروتها النفطية ذاتها، قبل أن ترغمها تقلبات السوق العالمي على فعل ذلك، ولكن بطريقتها القاسية.

جوهر التحدي لا يكمن في إيجاد بدائل إيرادية للبترول، بل في إعادة هندسة العقد الاجتماعي بأكمله. وعلى مدى عقود استندت شرعية الدولة الخليجية الحديثة إلى قدرتها على توزيع الريع النفطي وتحويله إلى بنية تحتية ضخمة، ووظائف حكومية مضمونة، ودعم سخي للمواطن. كان النفط هو الوسيط السحري الذي يحول الثروة الطبيعية إلى استقرار سياسي ورفاه اجتماعي. ولكن ماذا يحدث عندما يتعرض هذا الوسيط للتهديد ويتحول من سلعة إستراتيجية محورية إلى سلعة منسية في مسار التاريخ الطاقي العالمي؟ هنا يصبح التنويع الاقتصادي ضرورة ملحة وعميقة، تأثيرها لا يتوقف على نمط الاقتصاد فحسب، بل يطال طبيعة العلاقة بين الدولة والمواطن، ومفهوم العمل والإنتاجية، وصورة المستقبل الجماعي.

هذا المسار يواجه بثلاثة تحديات جوهرية. التحدي الأول هو تحدي "توطين الوظائف ذات القيمة المضافة" في القطاع الخاص. فاقتصاديات الريع شجعت، عن غير قصد، على توجه المواطنين نحو الوظيفة الحكومية المستقرة ومنخفضة الإنتاجية، بينما استوعب القطاع الخاص ذو الإنتاجية الأعلى غالبية العمالة الوافدة. تحويل هذه المعادلة لا يعني فقط خلق وظائف في قطاعات التكنولوجيا والصناعة والخدمات المالية، بل تغيير ثقافة العمل والقيمة الاجتماعية المرتبطة به. إنه تحول من ثقافة "الاستحقاق" المرتبطة بالريع إلى ثقافة "الإنجاز" المرتبطة بالسوق والمنافسة.

التحدي الثاني هو تحدي "بناء الإنسان الخليجي الجديد"، وهو التحدي الأعمق والأطول زمنًا. إن بناء اقتصاد المعرفة والابتكار لا يتم بتشييد المباني وإصدار التشريعات، بل لا بد من رأس مال بشري قادر على التفكير النقدي والإبداع والمخاطرة والتعلم المستمر. هذا يتطلب ثورة في نظام التعليم، لتحويله من نظام يعتمد على التلقين والحفظ إلى نظام ينتج مبتكرين ورواد أعمال. كما يتطلب إعادة تعريف مفهوم "الوظيفة الآمنة"، وغرْس روح المبادرة الفردية التي تتحمل المخاطرة من أجل فرص أكبر.

ويأتي التحدي الثالث ممثلا في "جذب الاستثمار الأجنبي المباشر غير النفطي" في أجواء سباق عالمي شرس. فالدول الخليجية لا تتنافس فيما بينها فقط، بل تتنافس مع دول جنوب شرق آسيا، وأوروبا الشرقية، وأفريقيا، على كل دولار استثماري، وكل شركة ناشئة، وكل عقل مبدع. الفوز في هذا السباق يتطلب أكثر من الحوافز المالية والإعفاءات الضريبية. إنه يتطلب بناء بيئة تشريعية شفافة، ونظام قضاء عادل، وبنية تحتية رقمية من الطراز الأول، ونمط حياة جاذبا للطاقات والكفاءات العالمية، وانسجاما اجتماعيًا يُطمئن المستثمر. باختصار، يتطلب تحويل الجغرافيا الخليجية إلى "منصة" للإبداع والأعمال.

من قلب هذه التحديات تنبثق أيضا فرص تاريخية قد تسمح لدول الخليج بالقفز إلى مراكز متقدمة في الاقتصاد العالمي الجديد. الفرصة الأولى تكمن في "استخدام الثروة النفطية الحالية كوقود لتمويل القفزة النوعية". فهي تمتلك، على عكس الكثير من الدول الطامحة، رأس مال هائلا يمكن استثماره في بناء المدن الذكية، وتطوير البنية التحتية للبحث العلمي، وتأسيس صناديق الاستثمار السيادية التي تستحوذ على شركات التقنية وتدخل في شراكات إستراتيجية عالمية. إنها عملية لتحويل رأس المال المادي (النفط) إلى رأس مال معرفي وتقني.

الفرصة الثانية هي "الريادة في اقتصاد الطاقة البديلة نفسها". فمعظم دول الخليج، بفضل موقعها الجغرافي، تتمتع بميزة تنافسية هائلة في مجال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح. يمكنها أن تتحول من مصدّر للطاقة الأحفورية إلى مصدّر للطاقة النظيفة، بل وإلى مركز عالمي لتصنيع مكوناتها وتطوير تقنياتها. مشاريع مثل "نيوم" و"مدينة مصدر" و"مجمع محمد بن راشد للطاقة الشمسية" تضع الأساس العملاق لهذا التحول. كما أن امتلاكها للبنية التحتية اللوجستية والتجارية والمالية يجعلها مؤهلة لأن تصبح مركزا لتجارة أرصدة الكربون.

خطط التنويع الاقتصادي في الخليج فصل تأسيسي تكتبه دول تريد أن تثبت أن تاريخها لن ينتهي مع ذروة النفط

والفرصة الثالثة هي "التحول إلى مختبرات حية للحلول المستقبلية. حيث توفر المدن الجديدة والمناطق الاقتصادية الخاصة في الخليج مساحة لاختبار التقنيات المتقدمة، من المدن الذكية والتنقل الذاتي إلى التقنيات المالية وتقنيات الزراعة في المناخات القاسية، في بيئة خاضعة للرقابة. هذا الجمع النادر بين رأس المال، والإرادة السياسية، والحاجة الملحة، يمكن أن يولد ابتكارات لا تخدم المنطقة فحسب، بل تخدم العالم أيضا.

عبارة "ما بعد النفط" المؤلفة من ثلاث كلمات تبدو بسيطة، لكنها في حقيقة الأمر إعلان عن ولادة جديدة تتطلب مخاضا اجتماعيًا واقتصاديًا صعبا. إنها رحلة من اقتصاد الريع -حيث الثروة تنبع على الشجر وفي الحالة الخليجية تستخرج من باطن الأرض- إلى اقتصاد الإبداع، حيث الثروة تخلق من عقل الإنسان. نجاح هذه الرحلة ليس مضمونًا، بل محفوف بمخاطر الفشل الاجتماعي أو التعثر الاقتصادي. ولكن الفشل في الشروع فيها هو، بلا شك، الخطر الأكبر.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

بعد سقوط طائرة الحداد: ميليشيات مصراتة تتبنى دعوات الإطاحة بالدبيبة

اتهامات لرئيس حكومة طرابلس بعدم الاكتراث بضحايا الفاجعة

تستنكر أوساط سياسية وشعبية في ليبيا طريقة تعامل الدبيبة مع حادثة وفاة رئيس هيئة الأركان العامة في غرب ليبيا الفريق أول محمد الحداد نتيجة حادثة سقوط طائرته، ما يمهّد لتزايد الأصوات المنادية بتنحيه عن السلطة.

الحبيب الأسود

لم يكن هناك من يحسب للحظة واحدة أن تتسبب فاجعة وفد رئيس هيئة الأركان العامة في غرب ليبيا الفريق أول محمد الحداد نتيجة حادثة سقوط طائرته في تركيا الثلاثاء الماضي، في خلاف حاد بين مدينة مصراتة ورئيس حكومة الوحدة المنتهية ولايتها عبدالحميد الدبيبة.

وانضمت ميليشيات المدينة إلى الشارع المنتفض واتهام الدبيبة بعدم الاكتراث بحادثة الطائرة وضحاياها، واعتبر قادة وسرايا الثوار أن موقف الحكومة كان هزيلا وليس في مستوى الفاجعة التي أصابت ليبيا والمؤسسة العسكرية.

وقالوا في بيان "نعرب عن بالغ استنكارنا ودهشتنا الشديدة حيال الموقف الهزيل والمريب الذي اتخذته حكومة الدبيبة تجاه هذا المصاب الجلل"، مردفين "لم نلمس أي اهتمام رسمي يليق بمكانة الشهداء، ولم يصدر بيان متلفز ينعى هؤلاء الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداءً للوطن".

وأكد قادة وسرايا الثوار أن "هذا التجاهل هو إهانة لكل منتسبي المؤسسة العسكرية وضرب بعرض الحائط لتضحيات الثوار والجنود"، وتابعوا أنهم يستهجنون بشدة "غياب أي مؤتمر صحفي رسمي من قبل الحكومة أو الجهات المسؤولة لتوضيح ملابسات هذه الحادثة للرأي العام"، لافتين إلى أن "حالة التعتيم والغموض التي تنتهجها السلطة تفتح الباب على مصراعيه للتأويلات، وتؤكد عجز هذه الأجسام عن تحمل مسؤولياتها الأخلاقية والوطنية".

وأعلن قادة وسرايا الثوار عن تأييدهم "الكامل والمطلق للانتفاضة الشعبية التي انطلقت ضد الفساد والمفسدين، وضد الظلم الذي استشرى في مفاصل الدولة"، وطالبوا "بإسقاط كافة الأجسام السياسية التي كانت سببًا في معاناة الليبيين وضياع هيبة الدولة"، داعين "المواطنين في كافة المدن والقرى الليبية للخروج فورًا إلى الشوارع والميادين، واسترداد وطنهم من قبضة العابثين".

ووجه قادة وسرايا الثوار "نداءً عاجلاً وهامًا إلى كافة الأجهزة الأمنية والعسكرية داخل مدينة مصراتة، بالاصطفاف الفوري مع خيار الشعب، والخروج مع المتظاهرين لحمايتهم ودعم مطالبهم المشروعة"، وأعلنوا تبرؤهم من وكيل وزارة الدفاع عبدالسلام الزوبي، وقالوا إنهم يؤكدون للرأي العام الليبي وللثوار في الميادين، أن الزوبي وكيل لا يمثلهم بأي حال من الأحوال، ولم يروا منه أي تحرك أو مشروع يخدم الثوار أو يحمي حقوقهم، واستنكروا بشدة صمته المطبق وتخاذله في حادثة وفاة الفريق الحداد، الذي سبق وأن كان آمراً له في كتيبة "الحلبوص" عام 2011، مردفين "نعلن أننا سنكون الدرع الواقي لهذه الانتفاضة، وسنضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه الوقوف في وجه إرادة الشعب أو محاولة قمع صوته".

> الدبيبة يستند بقوة إلى انتمائه إلى مصراتة في التصدي لمعارضيه، وقد لعب على التوازنات الميليشياوية في المدينة

وبحسب مراقبين، فإن الرأي العام في مدينة مصراتة أصبح معارضا لسياسات الدبيبة ورافضا لاستمرار حكومته، وهو يحمّله مسؤولية الوضع الاقتصادي والمالي المتدهور ومعاناة السكان المحليين، ويتهمه بالتورط في الفساد والعبث بالمال العام، وبعرقلة الحل السياسي لضمان بقائه على سدة الحكم.

وشهدت المدينة خروج مظاهرات ضد حكومة الوحدة الوطنية رفضا لما آلت إليه الأوضاع في ليبيا، حيث أعلن المتظاهرون رفضهم لحكم العائلة وطالبوا الدبيبة وجميع الأجسام السياسية بالتنحي عن السلطة ومحاسبة الفاسدين.

ورأى عضو المجلس البلدي مصراتة السابق، سليمان بن صالح، المعروف بدفاعه عن الدبيبة، أن البعض يحاول استغلال حادثة الطائرة لإثبات تورط شخصيات معينة في اغتيال القادة العسكريين بناءً على خلافات وهمية أو أسباب لا تمت للواقع بصلة.

وندد بن صالح بما سماه "الادعاءات المتداولة" الرائجة حول ضلوع الدبيبة في التخطيط لاغتيال رئيس الأركان الفريق أول محمد الحداد، معتبرا إياها اتهامات "مختلقة" وتخدم أجندات مغرضة، على حد قوله.

وكان الحداد قد رفض الانضمام إلى ما وصفه البعض بخطط الفوضى التي كانت تستهدف الدفع بطرابلس والمنطقة الغربية إلى صراع دموي مع قوة الردع الخاصة بقيادة الشيخ عبدالرؤوف كارة بعد تصفية رئيس جهاز الاستقرار عبدالغني الككلي داخل معسكر التكبالي من قبل موالين لحكومة الدبيبة في 12 مايو الماضي.

لكن بن صالح قال إن الدبيبة تمسك بالحداد، لالتزامه بحدود مسؤولياته العسكرية وعدم تدخله في شؤون الحكم المدني، وغياب الطموح السياسي أو النزعة الانقلابية لدى الراحل، والتزامه الكامل بالتراتبية العسكرية، فضلا عن قدرته على السيطرة على الكتائب المسلحة ومنعها من الانخراط في النزاعات المسلحة داخل طرابلس وخارجها، ما وفر طمأنينة للقيادة المدنية.

ووفق أوساط مطلعة، فإن الدبيبة يستند بقوة إلى انتمائه إلى مصراتة في التصدي لمعارضيه، وقد لعب كثيرا على التوازنات الميليشياوية في المدينة الأوفر تسليحا وعتادا في غرب ليبيا والأكثر تمثيلا في مؤسسات الدولة، لكن تخلي مصراتة عنه يعني انهيار نفوذه وسقوطه في حلبة الصراع من أجل البقاء في الحكم.

إلى جانب ذلك أعلنت بلدية مصراتة أن الأحد يكون عطلة رسمية داخل نطاق البلدية، لتمكين الموظفين والسكان المحليين من المشاركة في مراسم جنازة ابنها محمد الحداد ورفاقه، وتُستثنى من ذلك المؤسسات والمرافق ذات الخدمات الإنسانية والأمنية.

وكان مقر وزارة الدفاع بحكومة الوحدة الوطنية في طرابلس احتضن السبت مراسم تأبين رسمية لرئيس الأركان الفريق أول محمد الحداد ومرافقيه، الذين قضوا في حادث تحطم طائرة قرب العاصمة التركية.

انتقادات واسعة لموقف الدبيبة من الحادث

مخاض عسير للاستحقاقات الدستورية في العراق قبيل عقد أولى جلسات البرلمان

بغداد - يتطلع العراقيون باهتمام بالغ إلى انعقاد الجلسة الأولى للبرلمان العراقي في الدورة السادسة الجديدة الاثنين، على خلفية الانتخابات التشريعية التي جرت في البلاد في الحادي عشر من الشهر الماضي وأظهرت نسبة مشاركة شعبية تجاوزت 56 في المئة من الناخبين.

ويتحتم على القوى السياسية العراقية البارزة السنية والشيعية والكردية إعلان تسمية مرشحيها لرئاسة البرلمان ونائبيه قبيل عقد أولى جلسات البرلمان ظهر الاثنين، التي تم الإعلان عنها وتخصص لأداء اليمين الدستورية والقانونية وانتخاب هيئة رئاسة البرلمان.

وما زالت الأطراف السياسية في العراق، حتى منتصف نهار الأحد، عاجزة عن تسمية مرشحيها لرئاسة البرلمان ونائبيه وهو مؤشر خطير سبق لمجلس القضاء الأعلى في العراق أن حذر منه وألزم جميع القوى السياسية بحتمية دخول البرلمان وحسم انتخاب هيئة الرئاسة في الجلسة الأولى، وأن أية محاولة لتأجيل جلسة البرلمان الأولى أو تمديدها تعد مخالفة صريحة للدستور العراقي ولا تستند إلى أي غطاء قانوني.

وحسب التوقيتات الدستورية لمهلة عقد جلسة البرلمان الأولى وانتخاب الهيئة الرئاسية، سيكون أمام البرلمان 15 يوما لحسم هذا الملف وسيكون رئيس السن في البرلمان هو من يدير وقائع الجلسات إلى حين انتخاب رئيس ونائبين ضمن المهلة الدستورية.

وخلال الساعات المقبلة ستكون الأحزاب والكتل والكيانات السنية الممثلة في "المجلس السياسي السني" مسؤولة عن تقديم مرشحها لرئاسة الدورة السادسة للبرلمان العراقي، وكذلك الحال بالنسبة إلى قوى"الإطار التنسيقي الشيعي" لتسمية المرشح لمنصب النائب الأول لرئيس البرلمان، والأمر ينطبق على القوى والأحزاب الكردية لتسمية المرشح لشغل منصب النائب الثاني لرئيس البرلمان.

ويبدو أن الخلافات داخل أروقة البيوت السنية والشيعية والكردية ما زالت عاصفة، ما يعني أن حسم مناصب هيئة رئاسة البرلمان ربما ستؤجل إلى ما يعرف بـ" قرارات اللحظة الأخيرة" وهو اصطلاح تكرر استخدامه في الاستحقاقات الدستورية بعد كل عملية انتخابية، ما يجعل الولادة عسيرة للاستحقاقات الدستورية بعد كل عملية انتخابية.

ورغم أن الشارع العراقي قدم عملية انتخابية ناجحة بنسبة مشاركة تجاوزت 56 في المائة إلا أن الأطراف السياسية لم تتعامل مع هذا الإقبال الجماهيري على صناديق الاقتراع بمستوى المسؤولية وتلبية خيارات الناخبين وفق نتائج الانتخابات وذهبت باتجاه عملية سياسية تقوم على أساس خيارات ورغبات قادة الكتل السياسية وليس ما أفرزته نتائج الانتخابات.

وقال فؤاد الجبور (48 عاما)، موظف حكومي، "ترتكز الانتخابات في كل دول العالم على قاعدة الفوز والخسارة لكل الأطراف السياسية المتنافسة، وبالتالي الفائزون هم من يتصدرون المشهد وتشكيل العملية، ويذهب الآخرون إلى المعارضة، لكن هذا لا يحدث في العراق، فالجميع يطالبون بالمشاركة في تشكيل العملية السياسية وهذا غير منطقي".

وذكر الجبور أن الخلافات الحالية ليست سياسية بل محاصصاتية لاقتسام كعكة المناصب وبعيدة عن منطق الديمقراطية وشجاعة العراقيين واحترام خيارهم في انتخاب مرشحيهم بصدق وأمانة.

> الخلافات ما زالت عاصفة، ما يعني أن حسم مناصب هيئة رئاسة البرلمان ربما ستؤجل إلى بـ«قرارات اللحظة الأخيرة»

وقال داود سلمان (57 عاما)، صاحب محل تجاري، "وصلنا إلى قناعة بعد كل عملية انتخابية أن ما تفرزه صناديق الاقتراع ليس مطلبا لمنح الثقة بالمرشحين وإنما قناعة زعماء الكتل السياسية هي الفيصل النهائي لإسناد المناصب بعيدا عن خيارات الناخبين وبالتالي تشكل عملية سياسية عسيرة الولادة ومشوهه".

وترى سميرة الوائلي (49 عاما)، معلمة، أن "أي تأخير في تشكيل البرلمان والحكومة ستكون له انعكاسات خطيرة على تفاقم مشاكل المجتمع وتوفير فرص عمل للعاطلين وتحسين المستوى المعيشي، وأيضا يربك الأوضاع في البلاد والكتل السياسية مطالبة بالسعي الحثيث نحو تأمين متطلبات الجمهور وضمان الانتقال السلس للسلطة".

ويأمل العراقيون في أن تكون العملية السياسية الجديدة في البلاد للسنوات الأربع المقبلة أكثر نضوجا ونجاحا في معالجة هموم ومشاكل المواطنين وحل مشاكل البطالة والسكن التي باتت مشاكل متفاقمة تثقل كاهلهم وتقف حائلا أمام تطلعهم إلى تحسّن أوضاعهم المعيشية في ظل وضع أمني مستقر.

اتفاقات جديدة لإعادة المهاجرين تعكس تحولاً في سياسة الهجرة البريطانية

لندن - في خطوة تعكس تحوّلاً عميقاً في مقاربة ملف الهجرة، كشفت الحكومة البريطانية في وقت متأخر السبت عن اتفاقات جديدة مع عدد من دول أفريقيا، أبرزها أنغولا وناميبيا، تقضي بقبولهما إعادة المهاجرين غير النظاميين والمجرمين، بالتوازي مع تصعيد واضح في استخدام سياسة التأشيرات كأداة ضغط على الدول التي لا تبدي تعاوناً كافياً في هذا الملف.

ولا يمكن فهم هذه التطورات بوصفها إجراءات إدارية معزولة، بل تأتي ضمن إعادة صياغة شاملة لسياسة الهجرة البريطانية، في سياق داخلي ضاغط، وإقليمي ودولي يشهد تصاعداً في الهجرة غير النظامية وتزايداً في حساسية الرأي العام تجاهها.

وتسعى لندن، من خلال هذه الاتفاقات، إلى نقل مركز الثقل في إدارة ملف الهجرة من الداخل البريطاني إلى مستوى العلاقات الخارجية، عبر تحميل دول المنشأ مسؤوليات أوضح تجاه مواطنيها الذين لا يملكون حق البقاء في المملكة المتحدة.

وبعد سنوات من التركيز على تشديد الرقابة الحدودية، وتسريع البت في طلبات اللجوء، باتت الحكومة البريطانية ترى أن جوهر المشكلة لا يكمن فقط في تدفق المهاجرين، بل في صعوبة إعادتهم فعلياً بعد استنفاد المسارات القانونية. ومن هنا، أصبحت اتفاقات الإعادة شرطاً أساسياً لنجاح أي سياسة هجرة جديدة.

وتُعد الاتفاقات المبرمة مع أنغولا وناميبيا أول تجسيد عملي للإصلاحات التي أعلنتها الحكومة البريطانية الشهر الماضي، والتي تهدف إلى جعل وضع اللجوء مؤقتاً، وتقليص فرص التحول التلقائي إلى إقامة دائمة.

ويعكس هذا التوجه رغبة سياسية في تقويض ما تعتبره الحكومة "عوامل جذب" تشجع الهجرة غير النظامية، من خلال إيصال رسالة واضحة مفادها أن الوصول غير الشرعي إلى بريطانيا لن يفضي بالضرورة إلى الاستقرار أو الاندماج طويل الأمد، بل قد ينتهي بالترحيل السريع.

وتستند الحكومة في تبرير هذه السياسة إلى أرقام تعكس تسارع وتيرة الترحيل. فقد أعلنت وزيرة الخارجية إيفيت كوبر أن المملكة المتحدة رحّلت أكثر من 50 ألف شخص لا يحق لهم البقاء منذ يوليو من العام الماضي، بزيادة قدرها 23 في المئة مقارنة بالفترة السابقة.

وتُستخدم هذه الأرقام داخلياً لإظهار الحزم والقدرة على التنفيذ، في ظل ضغوط سياسية متزايدة، وصعود خطاب يربط بين الهجرة غير النظامية وقضايا الأمن والخدمات العامة وسوق العمل. غير أن التحول الأبرز في السياسة البريطانية لا يتمثل فقط في توقيع اتفاقات الإعادة، بل في اللجوء الصريح إلى سياسة التأشيرات كأداة ضغط دبلوماسي.

وأعلنت وزارة الداخلية البريطانية حرمان جمهورية الكونغو الديمقراطية من خدمات التأشيرات السريعة والمعاملة التفضيلية لكبار المسؤولين وصناع القرار، بسبب عدم استيفائها متطلبات التعاون، مع التلويح بالذهاب نحو وقف كامل للتأشيرات في حال عدم "تحسن التعاون بشكل سريع".

وبهذا المعنى، تتحول التأشيرة من أداة تسهيل للعلاقات الثنائية إلى وسيلة ردع سياسية، تُربط فيها الامتيازات القنصلية مباشرة بمدى الامتثال لمطالب الترحيل.

ويعكس هذا النهج انتقال لندن من الدبلوماسية الناعمة إلى مقاربة أكثر صرامة، تقوم على منطق الاشتراط والعقاب. فالدول التي تتعاون تُكافأ بالحفاظ على تسهيلات التأشيرات، بينما تواجه الدول المترددة أو الرافضة قيوداً قد تمس حركة مسؤوليها ورجال أعمالها وطلابها.

وتبدو موافقة أنغولا وناميبيا على استقبال المرحّلين مؤشراً على فاعلية هذا الضغط، أو على الأقل على إدراك هذه الدول لحساسية فقدان الامتيازات المرتبطة بالتأشيرات البريطانية، وما لذلك من انعكاسات اقتصادية وسياسية.

وفي المقابل يبرز موقف جمهورية الكونغو الديمقراطية بوصفه مثالاً على الدول التي قد تجد نفسها في مواجهة تصعيد تدريجي، يصل إلى حد القطيعة القنصلية الجزئية أو الكاملة.

> إعادة صياغة شاملة لسياسة الهجرة البريطانية في سياق ودولي يشهد تصاعدا في الهجرة غير النظامية

ويحمل هذا التصعيد رسالة سياسية واضحة مفادها أن بريطانيا مستعدة لتحمل كلفة التوتر الدبلوماسي في سبيل فرض رؤيتها لإدارة ملف الهجرة، ما يعكس أولوية هذا الملف في حساباتها الداخلية.

وسياسيًا توفّر هذه المقاربة للحكومة البريطانية مكاسب واضحة في الداخل. فهي تتيح لها الظهور بمظهر الحازم القادر على استخدام أدوات سيادية للدفاع عن النظام العام، وتلبية مطالب شريحة واسعة من الناخبين الذين يرون في الهجرة غير النظامية تهديداً للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. كما تمنحها ورقة تفاوض قوية في مواجهة الانتقادات التي تتهمها بالعجز عن ضبط الحدود أو تنفيذ قرارات الترحيل.

غير أن هذه السياسة لا تخلو من مخاطر خارجية. فربط التأشيرات بالتعاون في الترحيل قد يُنظر إليه، من قبل بعض الدول، على أنه شكل من أشكال الإكراه أو "تسييس" للعلاقات القنصلية، ما قد يترك آثاراً سلبية على صورة بريطانيا كشريك دولي.

كما أن هذا النهج قد يدفع بعض الدول إلى البحث عن بدائل دبلوماسية واقتصادية، أو إلى تنويع شراكاتها بعيداً عن لندن، خصوصاً في سياق أفريقي يشهد تنافساً متزايداً بين قوى دولية على النفوذ.

وإلى جانب ذلك، تثير هذه السياسة تساؤلات حقوقية جدية. فالتسريع في عمليات الترحيل، والضغط على دول المنشأ لاستقبال المرحّلين، قد يؤديان إلى إعادة أفراد إلى بيئات تعاني هشاشة أمنية أو مؤسساتية، أو إلى تقليص الضمانات الإجرائية للمهاجرين وطالبي اللجوء.

وتخشى منظمات حقوقية أن يتحول منطق الأرقام والسرعة إلى عامل يطغى على الاعتبارات الإنسانية، خصوصاً في حالات الأفراد المعرضين للخطر.

حزم بريطاني

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

هل يمهد اعتراف إسرائيل بدولة أرض الصومال لتهجير الفلسطينيين

خطوة إسرائيلية تثير مخاوف من تغيير الخرائط السياسية والديمغرافية

رغم عدم وجود إعلان رسمي إسرائيلي أو دولي يتحدث صراحة عن تهجير الفلسطينيين إلى "أرض الصومال"، فإن خطورة المسألة تكمن في تراكم المؤشرات لا في وجود قرار معلن.

حلمي همامي

في خضم الحرب على غزة، ومع تصاعد الجدل الدولي حول "اليوم التالي" وانسداد الأفق السياسي لأي تسوية عادلة، جاء الاعتراف الإسرائيلي بإقليم "أرض الصومال" كدولة مستقلة ليطرح أسئلة تتجاوز البعد الدبلوماسي التقليدي، وتلامس جوهر الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، ولاسيما المخاوف المتزايدة من عودة مشاريع التهجير القسري للفلسطينيين بأشكال جديدة ومموّهة.

ولا يمكن قراءة الخطوة الإسرائيلية بمعزل عن السياق الإقليمي والدولي المضطرب، ولا عن تاريخ طويل من محاولات تصفية القضية الفلسطينية عبر إعادة هندسة الجغرافيا والديمغرافيا بدل معالجة جذور الصراع.

ومن الناحية الظاهرية، قد يبدو الاعتراف بـ"أرض الصومال" خطوة سيادية تهدف إلى توسيع النفوذ الإسرائيلي في أفريقيا وتعزيز الحضور في منطقة القرن الأفريقي، وهي منطقة تكتسب أهمية متزايدة بفعل موقعها الجغرافي المشرف على خليج عدن وباب المندب، أحد أهم الممرات البحرية في العالم، غير أن القراءة التحليلية العميقة تكشف أن هذا الاعتراف يحمل أبعادًا إستراتيجية وأمنية وسياسية تتجاوز العلاقات الثنائية، ويفتح الباب أمام سيناريوهات أكثر تعقيدًا، من بينها استخدام هذا الاعتراف كورقة ضمن ترتيبات إقليمية أوسع تتصل بغزة ومستقبل سكانها.

وتاريخيا، لم تكن فكرة تهجير الفلسطينيين طارئة أو استثنائية في الفكر السياسي الإسرائيلي. فمنذ نكبة 1948، شكّل التهجير أداة مركزية في الصراع، وإن اختلفت أشكاله وتسويقاته. ومع كل أزمة كبرى، تعود هذه الفكرة إلى الواجهة، أحيانًا بشكل صريح، وأحيانًا أخرى عبر تسريبات أو دراسات أو مقترحات "غير رسمية".

وفي ظل الدمار الواسع الذي لحق بغزة، وغياب رؤية سياسية قابلة للحياة، تزداد المخاوف من البحث عن "حلول خارج الأرض"، أي حلول لا تقوم على إنهاء الاحتلال أو إقامة دولة فلسطينية، بل على تفريغ الأرض من سكانها تدريجيا.

وفي هذا السياق، يكتسب الاعتراف بـ"أرض الصومال" دلالة خاصة. فالإقليم غير معترف به دوليًا، ويعاني عزلة سياسية واقتصادية، ويبحث منذ سنوات عن أي اختراق يمنحه شرعية خارجية. هذا الوضع يجعله نظريا قابلا للتحول إلى ساحة لتجارب سياسية وجيوسياسية كبرى، خصوصًا إذا اقترنت هذه التجارب بإغراءات اقتصادية أو أمنية.

> **فكرة تهجير الفلسطينيين ليست طارئة في الفكر الإسرائيلي، فمنذ نكبة 1948، شكل التهجير أداة مركزية في الصراع**

ومن هنا، تنبع المخاوف من أن يكون الاعتراف الإسرائيلي مقدمة لطرح "أرض الصومال" كوجهة محتملة لإعادة توطين الفلسطينيين، ولو على مراحل، وتحت عناوين إنسانية أو تنموية أو أمنية.

وقد ترى إسرائيل، من جهتها في هذا المسار فرصة متعددة الأهداف. فمن ناحية، يوفر لها موطئ قدم إستراتيجي قرب البحر الأحمر، يسمح بمراقبة التحركات العسكرية في اليمن، ولاسيما نشاط الحوثيين، وتأمين خطوط الملاحة الإسرائيلية. ومن ناحية ثانية، يتيح لها توسيع شبكة تحالفاتها خارج الدائرة العربية التقليدية، بما يخفف من وطأة العزلة السياسية في حال تعثر مسارات التطبيع.

وأما من الناحية الأخطر، فيتمثل الهدف المحتمل في فتح أفق جديد للتعامل مع "الفائض السكاني" في غزة، وفق منطق أمني وديمغرافي طالما حكم التفكير الإسرائيلي.

هذه القراءة هي ما يفسر ردود الفعل الحادة من قوى دولية وإقليمية وازنة، وعلى رأسها الصين ومصر. فبكين لم تنظر إلى الاعتراف الإسرائيلي كخطوة ثنائية معزولة، بل كجزء من إعادة تشكيل موازين القوى في القرن الأفريقي والبحر الأحمر، بما يهدد مصالحها الإستراتيجية المرتبطة بالملاحة والتجارة والطاقة.

كما أن الصين، التي ترفع شعار احترام سيادة الدول ووحدة أراضيها، ترى في هذا الاعتراف سابقة خطيرة تشجع النزعات الانفصالية، وتفتح الباب أمام استخدام الاعترافات السياسية كأدوات لخدمة مشاريع تهجير وتغيير ديمغرافي.

وأما مصر، فتتعامل مع الملف من زاوية أمن قومي مباشر. فأي تغيير في معادلات القوة عند باب المندب وخليج عدن ينعكس بالضرورة على أمن البحر الأحمر وقناة السويس.

وإضافة إلى ذلك، ترفض القاهرة بشكل قاطع أي سيناريو يستهدف تهجير الفلسطينيين خارج أرضهم، لما يحمله من تهديد مباشر لفكرة الدولة الفلسطينية، وللاستقرار الإقليمي ككل.

ومن هنا، جاء الموقف المصري الداعم لوحدة الأراضي الصومالية والمتناغم مع الموقف الصيني الرافض للاعتراف.

ورغم عدم وجود إعلان رسمي إسرائيلي أو دولي يتحدث صراحة عن تهجير الفلسطينيين إلى "أرض الصومال"، فإن خطورة المسألة تكمن في تراكم المؤشرات لا في وجود قرار معلن. فغالبًا ما تبدأ المشاريع الكبرى في السياسة الدولية كأفكار هامشية أو نقاشات أكاديمية أو تسريبات إعلامية، قبل أن تتحول تحت ضغط الوقائع إلى خيارات مطروحة على الطاولة.

ومع استمرار الحرب في غزة، وتفاقم الكارثة الإنسانية، يصبح الخوف من تسويق التهجير كحل "واقعي" أو "اضطراري" أكثر حضورا.

كما أن السياق الدولي الراهن، الذي يشهد تراجعًا في الالتزام العملي بالقانون الدولي، وازدواجية واضحة في التعامل مع قضايا الاحتلال والنزوح، يزيد من هذه المخاوف. فحين تغض الأطراف الدولية النظر عن الانتهاكات الكبرى، يصبح من الأسهل تمرير مشاريع تتعارض مع أبسط مبادئ العدالة والشرعية الدولية.

وفي هذا الإطار، قد يُستخدم الاعتراف كجزء من عملية أوسع لإعادة رسم الخرائط السياسية، على حساب شعوب ضعيفة أو منزوعة الحماية.

ومع ذلك، فإن تحويل سيناريو تهجير الفلسطينيين إلى واقع يواجه عقبات كبيرة. فرفض الفلسطينيين أنفسهم لأي حل يقوم على اقتلاعهم من أرضهم يظل عاملًا حاسمًا.

كما أن المواقف الرافضة من قوى دولية مؤثرة، ومن دول عربية وأفريقية، تجعل من الصعب تمرير مثل هذا المشروع دون تكلفة سياسية باهظة.

وإضافة إلى ذلك، فإن "أرض الصومال" نفسها ليست كيانا مستقرا أو متجانسا يمكنه استيعاب موجات سكانية كبيرة دون تداعيات داخلية خطيرة.

وفي المحصلة، يمكن القول إن الاعتراف الإسرائيلي بـ"أرض الصومال" لا يشكل دليلًا قاطعًا على وجود مخطط وشيك لتهجير الفلسطينيين، لكنه يثير مخاوف مشروعة، ويكشف عن اتجاهات مقلقة في التفكير الإستراتيجي الإقليمي والدولي. فحين تُستخدم الاعترافات السياسية لتغيير الوقائع الجغرافية، وحين يُعاد طرح التهجير كحل غير معلن، يصبح من الضروري التعامل مع هذه الخطوات بحذر بالغ.

ولا تقتصر مواجهة هذا المسار على إدانة الاعتراف أو رفضه، بل تتطلب تثبيت مبدأ أساسي مفاده أن غزة جزء لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية، وأن أي حل يتجاوز إرادة الفلسطينيين وحقوقهم التاريخية لن يؤدي إلا إلى إعادة إنتاج الصراع بأشكال أكثر عنفا. فتهجير الفلسطينيين، سواء إلى "أرض الصومال" أو غيرها، لن يكون حلًا للأزمة، بل وصفة مؤكدة للمزيد من عدم الاستقرار، ليس في فلسطين وحدها، بل في كامل الشرق الأوسط والقرن الأفريقي معا.

فكرة الوطن البديل تعود إلى الواجهة

ثغرات الانتقال الأمني في سوريا تعيد فتح المجال أمام تنظيم داعش

انتقال أمني ناقص في سوريا يمنح داعش فرصة للتمدد والتموضع

دمشق - في أعقاب انهيار نظام بشار الأسد أواخر عام 2024، دخلت سوريا مرحلة انتقالية بالغة التعقيد، كان يفترض أن تشكّل بوابة لإعادة بناء الدولة ومؤسساتها الأمنية على أسس جديدة، غير أنّ الواقع الميداني سرعان ما كشف أن هذا الانتقال الأمني جرى على نحو متعجل، مثقلاً بإرث سنوات من التفكك، ومفتوحاً على ثغرات بنيوية عميقة، أعادت بشكل غير مباشر فتح المجال أمام تنظيم داعش ليستعيد حضوره كحركة تمرد قادرة على الاختراق والضرب في اللحظة المناسبة.

ولم تكن المهمة التي واجهتها السلطات السورية الجديدة سهلة. فالدولة التي ورثتها لم تكن دولة مؤسسات بالمعنى التقليدي، بل مساحة جغرافية تتقاسمها قوى مسلحة متعددة الولاءات، من فصائل محلية وقوات كردية ومجالس عسكرية مناطقية، وصولاً إلى بقايا شبكات النظام السابق.

وفي هذا السياق، اتجهت القيادة الانتقالية إلى خيار بدا براغماتيا للوهلة الأولى: الإسراع في تشكيل قوات أمن داخلية قادرة على بسط الحد الأدنى من السيطرة، ولو على حساب معايير التدقيق الصارمة والتدرج المؤسسي.

وحمل هذا الخيار، الذي أعطى الأولوية للانتشار السريع وملء الفراغ، في داخله بذور الخلل. فاستيعاب آلاف المقاتلين السابقين في وحدات أمنية جديدة، من دون عمليات تدقيق أمني معمقة أو إعادة تأهيل فكري ومهني كاف، خلق بيئة رخوة قابلة للاختراق.

وتقول الباحثة جو أدتونجي في تقرير نشرته مجلة ذو كونفريسشن إن تنظيم الدولة الإسلامية وجد في ذلك فرصته. فالتنظيم الذي فقد منذ عام 2019 قدرته على السيطرة المكانية وإدارة "دولة" بالمعنى المباشر، كان قد أعاد صياغة إستراتيجيته ليصبح تنظيما تمرديا مرنا، يبحث عن الشقوق داخل الهياكل الأمنية الهشة لا عن المدن والعواصم.

وشكّل الهجوم الذي استهدف القوات الأميركية قرب تدمر مثالاً كاشفاً على هذا التحول. فالمنفذ لم يكن مقاتلاً متسللاً من الصحراء فحسب، بل فرداً نجح في الاندساس داخل جهاز أمني ناشئ، مستفيداً من ضعف آليات الفرز والمراقبة.

ولم يكن هذا الحدث مجرد اختراق أمني عابر، بل مؤشرا على خلل أعمق في طبيعة الانتقال نفسه: انتقال يسعى إلى إنتاج الأمن بسرعة، من دون أن يملك بعد القدرة المؤسسية على حمايته من التآكل الداخلي.

وتتعاظم خطورة هذه الثغرات في ظل المشهد الأمني السوري المجزأ. فبعد عام على سقوط النظام، لا تزال البلاد تدار وفق منطق "الأمن المتعدد"، حيث تحتفظ قوى مختلفة بهوامش واسعة من الاستقلال العسكري والأمني.

ويضعف هذا الواقع سلاسل القيادة، ويعقد المحاسبة، ويجعل التنسيق بين الأجهزة أمراً بالغ الصعوبة. وفي مثل هذه البيئات، تزدهر التنظيمات المتطرفة، لأنها تجيد الحركة في المناطق الرمادية، حيث لا توجد سلطة كاملة ولا فراغ مطلق.

ويدرك تنظيم الدولة الإسلامية هذه المعادلة جيداً. لذلك لم يعد هدفه استعادة السيطرة على مدن كبرى أو إعلان "خلافة" جديدة، بل تقويض شرعية الدولة الانتقالية عبر ضربات نوعية مدروسة. فكل هجوم ناجح، وكل عملية اختراق، تضعف ثقة السكان المحليين بقدرة الدولة على حمايتهم، وتثير شكوك الشركاء الدوليين في أهلية المؤسسات الأمنية الجديدة. ومن هنا، يصبح الإرهاب أداة سياسية بامتياز، لا مجرد عنف أعمى.

وتلعب الجغرافيا دورا حاسما في هذه المعادلة. فالمناطق الصحراوية الواسعة في وسط سوريا، الممتدة حول تدمر، لا تزال تمثل فضاءً مثالياً لحركة التنظيم.

وتحولت هذه المناطق، التي عجزت الدولة السورية تاريخياً عن ضبطها الكامل، اليوم إلى مسرح مفتوح لعمليات الكر والفر، مستفيدة من ضعف البنية اللوجستية للقوات الحكومية وصعوبة فرض رقابة دائمة على مساحات شاسعة قليلة السكان. ومع استمرار هشاشة التنسيق بين القوى المختلفة، تصبح هذه المناطق خزانات تهديد كامنة.

وفي المقابل، تجد الحكومة الانتقالية نفسها عالقة بين ضغوط متناقضة. فمن جهة، يطالب الشركاء الدوليون، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، بجهاز أمني محترف وموثوق، قادر على منع الاختراق وحماية العمليات المشتركة.

> **المعركة الحقيقية تدور اليوم حول سد ثغرات الانتقال الأمني، وبناء جهاز قادر على الصمود أمام الاختراق، لا مجرد الانتشار**

ومن جهة أخرى، يفرض الواقع الداخلي قيوداً صارمة، إذ إن أي حملة تطهير واسعة أو إعادة هيكلة جذرية قد تهدد التوازن الهش بين الفصائل المسلحة التي يعتمد عليها الاستقرار النسبي في بعض المناطق.

ويولّد هذا التناقض شللاً جزئياً في القرار، وهو بالضبط ما يسعى تنظيم الدولة الإسلامية إلى استغلاله.

وإضافة إلى ذلك، فإن الحوادث الأمنية الكبرى تمنح خصوم الحكومة الانتقالية، سواء من بقايا النظام السابق أو من القوى المناطقية المنافسة، ذخيرة سياسية للتشكيك في قدرتها على إدارة الملف الأمني.

وقد يدفع ذلك إلى تصاعد الدعوات إلى نماذج حكم لامركزية أو ترتيبات أمنية ذاتية، ما يعني عمليا المزيد من التفكك، والمزيد من الفرص أمام التنظيمات المتطرفة لتوسيع هامش حركتها. وفي هذا السياق، لا يمكن فهم عودة نشاط تنظيم الدولة الإسلامية بمعزل عن فشل الانتقال الأمني في التحول من منطق الطوارئ إلى منطق بناء المؤسسات. فالأمن لا يُختزل في عدد الأفراد المنتشرين أو سرعة الاستجابة، بل في جودة النظام الذي يحكم عملهم، وفي وضوح العقيدة الأمنية التي توجههم، وفي وجود آليات رقابة ومساءلة تقلل من فرص الاختراق والانحراف. و ما دامت هذه العناصر غائبة أو ناقصة، سيظل التنظيم قادرا على التسلل والتأثير.

ولا يكمن الخطر الحقيقي فقط في العمليات التي ينفذها تنظيم الدولة الإسلامية، بل في الأثر التراكمي لهذه العمليات على مسار الانتقال برمته. فكل هجوم ناجح يعمّق الإحساس بعدم الأمان، ويؤخر الاستثمار وإعادة الإعمار، ويقوض الثقة الدولية في قدرة سوريا الجديدة على أن تكون شريكا مستقرا. وهنا يتحول الإرهاب من تهديد أمني إلى معوق سياسي واقتصادي طويل الأمد.

وتكشف تجربة العام الأول بعد سقوط النظام أن هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية عسكرياً لم تكن سوى خطوة أولى. فالمعركة الحقيقية تدور اليوم حول سدّ ثغرات الانتقال الأمني، وبناء جهاز قادر على الصمود أمام الاختراق، لا مجرد الانتشار.

وما لم تنتقل السلطات السورية من إدارة الأزمة إلى إصلاح جذري ومتدرج للقطاع الأمني، سيبقى التنظيم قادراً على إعادة إنتاج نفسه بأشكال مختلفة، مستفيداً من كل فجوة، وكل تردد، وكل حل مؤقت. وفي بلد خرج لتوه من حرب مدمرة، قد تكون هذه الثغرات أخطر من العدو نفسه.

سيطرة أمنية هشة

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

طفرة صناعة البطاريات تعيد النظر في تعدين الغرافيت في الولايات المتحدة

إحياء 5 مناجم في نيويورك وألاباما ومونتانا وألاسكا للاستغناء عن الإمدادات الصينية

أعاد الطلب المتزايد على البطاريات تسليط الضوء على الغرافيت، والذي ظلّ لفترة طويلة مادة مهمَّشة في السياسات الأميركية. واليوم مع سعي الولايات المتحدة إلى تقليل اعتمادها على سلاسل التوريد الخارجية وخاصة من الصين، وتعزيز أمنها الصناعي، بدأ صانعو القرار والشركات إعادة النظر في تعدينه، باعتباره موردًا إستراتيجيًا لا غنى عنه لمستقبل الطاقة والاقتصاد.

معدن أساسي للتفوق

نيويورك - أُغلقت مناجم الغرافيت في الولايات المتحدة بشكل شبه كامل قبل سبعة عقود. وبدا استخراج هذا المعدن واسع الانتشار، والذي يدخل في صناعة كل شيء تقريبًا من المفاعلات النووية إلى أقلام الرصاص، غير مجدٍ اقتصاديًا في ظل إمكانية استيراده بأسعار زهيدة من دول أخرى، وخاصة الصين.

لكن هذا الرأي يتغير الآن، حيث يتزايد الطلب على الغرافيت، وهو مادة أساسية في بطاريات الليثيوم أيون التي تُشغّل كل شيء من الهواتف إلى السيارات الكهربائية، مع استمرار التوترات التجارية مع الصين.

ونظرًا لقلق المسؤولين الأميركيين بشأن استقرار إمدادات عدد من المعادن الحيوية، تعتزم عدة شركات استخراج الغرافيت.

وفي نيويورك، استخرجت شركة تايتان للتعدين كمية محدودة من خام الغرافيت من منجم في غابة ثلجية تبعد حوالي 40 كيلومترًا عن الحدود الكندية، بهدف بدء مبيعاتها التجارية بحلول عام 2028.

ويعتقد مسؤولو الشركة أن الظروف الجيوسياسية الراهنة مواتية لبيع مركزات الغرافيت لاستخدامات التكنولوجيا المتقدمة والصناعية والعسكرية.

ووفقًا للشركة، قد تشمل هذه الاستخدامات طلاءات مقاومة للحرارة في المصانع، وأقطابًا موجبة في بطاريات الليثيوم أيون الكبيرة المتصلة بشبكات الكهرباء، ومواد تشحيم للمركبات العسكرية.

ونقلت وكالة أسوشيتد برس عن الرئيسة التنفيذية للشركة ريتا أدياني قولها "نعتقد أن هناك فرصة حقيقية هنا. لدينا القدرة على تلبية جزء كبير من احتياجات الولايات المتحدة. ويعود ذلك بشكل كبير إلى أن الصين لم تعد شريكًا موثوقًا به في سلسلة التوريد".

وتصاعدت التوترات التجارية مع الصين هذا العام مع فرض إدارة الرئيس دونالد ترامب رسومًا جمركية أعلى، إلا أن هذه التوترات خفت حدتها نوعًا ما بعد لقائه بالرئيس الصيني شي جينبينغ في أكتوبر الماضي خلال قمة اقتصادية إقليمية في كوريا الجنوبية.

ويقع منجم شمال ولاية نيويورك بمنطقة ريفية ذات تاريخ عريق في استخراج الغرافيت وخام الحديد والفانديت. وسُمّي قلم الرصاص الأصفر الشهير "تيكونديروجا" نسبةً إلى بلدة تقع على بُعد ساعات قليلة شرق هذا المنجم، حيث كان يُستخرج الغرافيت منذ زمن بعيد.

ريتا أدياني

هناك فرصة حقيقية لنا، لأن الصين لم تعد شريكا موثوقا

غريغوري كيوليان

ما يحدث الآن يجب أن يحدث، لديك موارد يمكنك تطويرها

أنتوني هيوستن

لدينا أكبر رواسب في العالم ولا مبرر للتوريد من الصين

ورفع جويل ريو، من شركة تايتان، مؤخرًا صخرةً من المنطقة التي تم استخراج الغرافيت منها حديثًا. وكانت قطعةً عادية المظهر من الشيست المرقط، تلمع قليلًا تحت أشعة الشمس. لكنها كانت تتكون من حوالي 3 في المئة من الغرافيت.

وقال ريو، نائب رئيس العمليات في الشركة، لأسوشيتد برس "كما ترون، الصخرة رمادية اللون هنا. هذا بسبب الغرافيت".

ويتميز معدن الغرافيت بقدرته على توصيل الكهرباء ومقاومة درجات الحرارة العالية، وهو ما يجعله مفيدًا في العديد من التطبيقات التجارية والعسكرية.

ولذلك، صرّحت وزارة الطاقة الأميركية بأن الحاجة إلى الغرافيت بالغة الأهمية، كما أدرجته وزارة الداخلية ضمن قائمة تضم 60 "معدنًا بالغ الأهمية"، إلى جانب أكثر من 12 عنصرًا من العناصر الأرضية النادرة.

ويتوقع خبراء صناعة التعدين استمرار ارتفاع الطلب العالمي على الغرافيت خلال العقد المقبل، وذلك بالتزامن مع ازدهار صناعة البطاريات.

ويشمل ذلك الغرافيت المستخرج من المناجم، أو ما يُعرف بـ"الغرافيت الطبيعي"، والغرافيت المصنّع، أو ما يُعرف بـ"الغرافيت الاصطناعي"، الذي يتميز بنقائه العالي وسعره المرتفع. ويمكن استخدام مزيج من النوعين في مصاعد بطاريات الليثيوم أيون.

ولطالما أثارت هيمنة الصين على توريد كل من الغرافيت الطبيعي والاصطناعي قلق صانعي السياسات الأميركيين لسنوات. وقد تصاعدت المخاوف مؤخرًا عندما فرضت الصين قيودًا جديدة على صادرات هذا المعدن ومعادن أخرى، ثم خففتها لمدة عام.

وفي محاولة لتعزيز سلاسل إمداد المعادن الحيوية كالغرافيت، أدرج المسؤولون الأميركيون إعفاءً ضريبيًا لإنتاج المعادن الحيوية في قانون خفض التضخم لعام 2022.

وفي الآونة الأخيرة، أبرمت إدارة ترامب اتفاقيات بشأن المعادن الحيوية مع دول أخرى لتنويع مصادر الإمداد. كما أولت اهتمامًا كبيرًا للمعادن الحيوية من خلال التمويل الحكومي وتبسيط إجراءات المراجعة.

وقال غريغوري كيوليان، المدير المشارك لمركز الأنظمة المستدامة في جامعة ميشيغان، لأسوشيتد برس "ما يحدث الآن يجب أن يحدث. أعتقد أنه لا ينبغي الاعتماد كلياً على الدول الأخرى في حين أن لديك موارد يمكنك تطويرها".

وأغلقت معظم مناجم الغرافيت في الولايات المتحدة بحلول خمسينات القرن الماضي. ووفقًا للمركز الوطني لمعلومات المعادن التابع لهيئة المسح الجيولوجي الأميركية، لا يوجد حاليًا أي من مناجم الغرافيت في الولايات المتحدة التي تُنتج منتجا تجاريا بشكل منتظم.

لكن المركز يُشير إلى أن منجم تيتان هو واحد من خمسة مشاريع نشطة، اثنان منها في ألاباما، وواحد في كل من مونتانا وألاسكا.

وأعلنت شركة ويست ووتر ريسورسز هذا الخريف عن تعيينها لشركة هندسية لإدارة عملية الحصول على التراخيص اللازمة لتطوير منجم في رواسب كوسا في ألاباما.

ويقع مشروع شركة غرافيت ون في ألاسكا في موقع ما يُصنّفه مسؤولو الولاية بأنه أكبر رواسب غرافيت رقائقي كبير معروفة في الولايات المتحدة.

وقال أنتوني هيوستن، الرئيس والمدير التنفيذي لشركة غرافيت ون، "عندما نمتلك أحد أكبر رواسب الغرافيت في العالم... فلا يوجد أي مبرر لاعتمادنا على الصين في توريده".

أول شركة مصرية للاستحواذ الخاص تتوسع في الذكاء الاصطناعي

القاهرة - كشفت أول شركة استحواذ ذات أغراض خاصة أو ما يعرف بـ"الشيك على بياض" والتي تُدرج في البورصة المصرية، أنها ستستخدم السيولة الناتجة عن عملية البيع لشراء شركات جديدة، بالتوازي مع التوسع الاستثماري في مجالي الذكاء الاصطناعي وبلوكتشين.

وقال رئيس مجلس إدارة كاتليست بارتنرز ميديل إيست ماجد شوقي قبيل تداول سهم الشركة للمرة الأولى الأحد، إن رأسمالها يبلغ 3 مليارات جنيه (63 مليون دولار)، وحجم الأموال الموجودة في حساب الضمان يبلغ 200 مليون جنيه (4.2 مليون دولار).

وأضاف في تصريحات لتلفزيون بلومبيرغ الشرق "سنوسع قاعدة الملكية خلال الربعين الثاني والثالث من العام المقبل".

ووفق ما رصدته بلومبيرغ، فقد ارتفع سعر سهم كاتليست بارتنرز ميديل إيست بنحو 20 في المئة في مستهل أولى جلسات تداوله إلى 12 جنيها (25 سنتا أميركيا).

ويتم تأسيس شركات الاستحواذ ذات الأغراض الخاصة والترخيص لها كشركات رأسمال جريء، من مستثمرين مؤهلين متخصصين، وتكون ذات غرض وحيد، ألا وهو الاستحواذ على شركة أو أكثر كشركات مستهدفة.

وتقوم بتوفير التمويل اللازم لذلك من خلال طرح زيادة رأسمالها في اكتتاب عام أو طرح خاص، ووضعه في الحساب البنكي لحصيلة الاكتتاب.

ويقول خبراء إن تدشين القاهرة هذه النوعية من الشركات في عام 2021 سيوسع نطاق توظيف الأموال في البلاد ما لم تطبق تشريعات قانونية صارمة تضبط العلاقة بين الأفراد والمؤسسات.

وأشاروا إلى أن الكيانات تحصل على مهلة عامين للبحث عن مؤسسات تستحوذ عليها، وحال تجاوز المهلة دون الوصول إلى الهدف يمكن حلها، ما يفتح الباب لتوظيف أموال الأفراد دون عوائد خلال تلك المدة.

وتأخرت مصر في السماح لنشاط هذه الشركات، رغم انتشارها في الأسواق المجاورة، ويعد قطاع الترويج والاندماجات في بنوك الاستثمار وشركات الاستشارات المالية أحد المجالات التي توازي عمل تلك الشركات، لكن نشاطها بطيء مقارنة بالشركات المتخصصة في ذلك القطاع.

> 25 سنتا أميركيا سعر سهم شركة كاتليست بارتنرز ميديل إيست، في مستهل تداوله في البورصة

وتستهدف الحكومة من تأسيس تلك الشركات توفير وسائل تمويل متعددة أمام الشركات الناشئة، لاسيما العاملة في مجال التكنولوجيا والتقنيات الرقمية بالتزامن مع تدشين المصارف الحكومية، الأهلي ومصر والقاهرة، صندوقًا لدعم تلك الشركات.

وأفصح شوقي أيضا عن استثمارات مرتقبة من شركته في القطاعات التي تركز عليها، بما في ذلك القطاع المالي غير المصرفي والشركات الناشئة بمجال التكنولوجيا المالية "فينتك".

وأكد أن ذلك سيكون بموازاة التوسع إقليميا، لاسيما في السوق السعودية التي تمتلك فيها المجموعة شركة للاستشارات المالية، والإمارات، مشيدا بما حققه البلدان الخليجيان في مجال الذكاء الاصطناعي والاستثمارات الضخمة التي راهن عليها المسؤولون.

وكانت كاتليست بارتنرز ميديل إيست قد أعلنت في يوليو الماضي موافقة مساهميها على الاستحواذ على شركتين مصريتين بقيمة تقدر بنحو 58.8 مليون دولار عبر مبادلة أسهم، بهدف تعزيز أنشطتها في سوق الخدمات المالية غير المصرفية.

والشركتان المستحوذ عليهما هما قرضي للتطبيقات الإلكترونية المتخصصة في الحلول المالية الرقمية، وكاتليست بارتنرز هولدينغ العاملة في الخدمات المالية غير المصرفية.

ماجد شوقي

سنوسع قاعدة الملكية خلال الربعين الثاني والثالث من 2026

ومن شأن الاستحواذ أن يدعم سعي كاتليست بارتنرز لبناء منصة متكاملة في مجال الخدمات المالية غير المصرفية، مستندة إلى التطورات المتسارعة في التكنولوجيا المالية، بهدف تقديم حلول تُسهم في دعم نمو الشركات بمختلف أحجامها، بحسب الشركة.

ووافقت هيئة الرقابة المالية في أكتوبر 2024، على تأسيس كاتليست بارتنرز للاستشارات برأسمال مصدر ومدفوع بنحو 210 آلاف دولار، كأول شركة رأس مال مخاطر ذات غرض استحواذ.

ومثلت هذه الخطوة نقلة في مجال الاستثمار والتمويل، وفتحت الباب أمام فرص جديدة للنمو الاقتصادي في القطاع. وأدرجت الشركة في فبراير الماضي في البورصة المحلية بالسوق متوسطة النشاط.

وأواخر العام الماضي كلفت كاتليست بارتنرز شركة بي.دي.أو كيز كمستشار مالي مستقل لتحديد قيمة الشركات المستهدفة للاستحواذ عليها، كقرضي للتطبيقات الإلكترونية وشركات أخرى، لشرائها عبر مبادلة الأسهم بعد الفحص النافي للجهالة.

وتشترط الهيئة أنه في حال فشل الاستحواذ المخطط له، تلتزم الشركة ذات غرض الاستحواذ بإعادة الأموال إلى المستثمرين بعد خصم العمولات المقررة والمصاريف الأخرى التي تحددها الجهات الحكومية المعنية.

وعلى مدار السنوات القليلة الماضية أبدت شركات عديدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا اهتماما متزايدا بأنشطة الاستحواذ لأغراض خاصة كوسيلة لطرح الأسهم للتداول العام.

زخم بيتكوين ينقلب على المراهنين على العملات المشفّرة

لندن - تسبّب الانخفاض المتواصل في أسعار العملات المشفّرة منذ شهر أكتوبر الماضي، في هزّ الشركات التي راهنت بقوة على عملة بيتكوين، بعدما تراجعت أسهمها في البورصة، ما أعاد إلى الواجهة المخاوف من تشكّل فقاعة.

وشهدت عملة بيتكوين ارتفاعا في مطلع العام، وبلغت مستوى قياسيا مطلع أكتوبر متجاوزة 126 ألف دولار. وعلى وقع هذا الصعود، بدأت شركات بشراء كميات منها، إمّا لتنويع احتياطاتها النقدية أو للتحوّط من التضخم أو لجذب مستثمرين يبحثون عن أرباح سريعة.

وكانت بعض هذه الشركات تنشط أصلا في المجال، مثل منصّات التداول أو شركات التعدين التي تنتج بيتكوين كمكافأة مقابل تشغيل الشبكة. لكن شركات أخرى، لا علاقة مباشرة لها بالقطاع، دخلت أيضا على خط الشراء، ما ساهم في تعزيز الطلب ورفع السعر.

وراهنت بعض الشركات على استمرار ارتفاع سعر بيتكوين، فلجأت إلى إصدار ما يُعرف بـ"السندات القابلة للتحويل"، أي الاقتراض بفوائد منخفضة مع منح المقرضين خيار تحويل الدين إلى أسهم.

لكن عند تراجع سعر السهم، مثلا بسبب هبوط بيتكوين وفقدان جاذبية نموذج العمل، يفضّل المستثمرون استعادة أموالهم نقدا بدل الأسهم. وفي هذه الحالة، تصبح قدرة الشركة على الاستمرار مرتبطة بقدرتها على تأمين سيولة كافية لسداد ديونها.

وبدأت مؤشرات الضعف تظهر في الخريف، حيث تراجع سعر بيتكوين تدريجيا قبل أن يهبط دون مستوى 90 ألف دولار في نوفمبر، أي إلى مستوى أدنى من مطلع العام، ما زعزع الثقة بنموذج هذه الشركات.

ويقول إريك بنوا، المتخصص في شؤون التكنولوجيا في مؤسسة ناتيكسيس، لوكالة فرانس برس إن "السؤال الذي طرحه السوق بسرعة هو: هل ستواجه هذه الشركات صعوبات؟ هل ستفلس؟".

ومن جهتها ترى كارول ألكسندر، أستاذة الاقتصاد في جامعة ساسكس، أن الفقاعة المرتبطة بهذا النوع من الشركات "تنفجر ببطء". وتضيف أن غياب الوضوح التنظيمي والمخاطر المرتبطة بالأمن السيبراني أو بالاحتيال الداخلي يزيدان من حذر المستثمرين.

وتُعدّ شركة البرمجيات إستراتيجي، التي لم ترد على استفسارات فرانس برس، أكبر شركة من حيث حيازة بيتكوين، إذ تمتلك أكثر من 671 ألف عملة، أي نحو 3 في المئة من إجمالي المعروض المستقبلي.

غير أن سهم الشركة خسر أكثر من نصف قيمته خلال ستة أشهر، فيما تراجعت قيمتها لفترة وجيزة إلى ما دون قيمة ما تملكه من بيتكوين.

ويُعزى ذلك إلى اعتمادها الكبير على السندات القابلة للتحويل، وهو ما يعرّضها لمخاطر ديون مرتفعة. ولطمأنة الأسواق، جمعت إستراتيجي نحو 1.44 مليار دولار عبر بيع حصص.

وبعدما وجدت نفسها في وضع مماثل، باعت شركة سيكوانس المتخصصة في أشباه الموصلات، نحو 970 عملة بيتكوين لتأمين سيولة خُصّصت لسداد جزء من ديونها.

وواجهت شركات تعدين العملات الرقمية، مثل إيرين وكلينسبارك وريوت ومارا هولدينغز، التي كانت تحظى بشعبية كبيرة بين المستثمرين، انتكاسات أيضا.

إريك بنوا

ما يطرحه السوق يتعلق بما ستواجهه الشركات من صعوبات

وفي حال اضطرت شركات متعثّرة إلى بيع كميات كبيرة من بيتكوين دفعة واحدة، فقد يؤدي ذلك إلى المزيد من الضغط على الأسعار، ما يفاقم الأزمة.

وترى ألكسندر أن "خطر العدوى في أسواق العملات المشفّرة يكون عندها كبيرا"، لكنها تستبعد أن يكون له "تأثير كبير على الأسواق التقليدية".

في المقابل يقول ديلان لوكلير، المسؤول عن بيتكوين لدى شركة ميتابلانت اليابانية، لفرانس برس "نعتبر هذه التقلبات" بمثابة "الثمن الذي يجب دفعه مقابل إمكانات صعود على المدى الطويل".

وكانت الشركة متخصّصة في قطاع الفنادق قبل أن تتجه إلى الاستثمار في بيتكوين، التي تُقدّر قيمة ما تملكه منها حاليا بنحو 2.7 مليار دولار.

ويرى بنوا أن هذه الشركات ستضطر إلى إيجاد طرق جديدة للاستفادة من احتياطاتها من بيتكوين، مثل تطوير منتجات مالية، بدلا من الاكتفاء بالمراهنة على ارتفاع السعر. ويقول "لن تنجو جميعها"، لكن "هذا النموذج سيستمر"، متوقعا حصول عمليات اندماج في القطاع.

وفي هذا السياق تتواصل المبادرات، إذ أطلق رائد الأعمال الفرنسي إريك لارشفيك أواخر نوفمبر الماضي شركة ذي بيتكوين سوسايتي، المتخصّصة في إدارة الأصول بالعملات المشفّرة.

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

غرانداىزر أيقونة الوجدان العربي ومرآة لمآسي المنطقة

برنامج الأطفال تحول إلى رمز للحنين والمقاومة لأجيال شهدت حروبا وتهجيرا

احتفل مسلسل الأنمي الياباني «غرنداىزر» بعيده الخمسين في 2025، محتفظاً بشعبية هائلة في العالم العربي كرمز ثقافي يعكس تجارب التهجير والحروب والمقاومة ضد الغزاة، من خلال قصة الأمير دوق فليد المهجر الذي يدافع عن الأرض.

الأسطورة

الرياض - احتفل مسلسل الأنمي الياباني "غرانداىزر" (UFO Robot Grendizer) بعيده الخمسين في عام 2025، وسط استمرار شعبيته الكبيرة في العالم العربي، حيث يُنظر إليه كرمز ثقافي يعكس تجارب التهجير والحروب التي شهدتها المنطقة.

وأُنتج المسلسل في اليابان عام 1975 على يد الفنان غو ناغاي، ويروي قصة الأمير دوق فليد الذي يهرب من كوكبه المدمر من قبل غزاة فضائيين، ويصل إلى الأرض ليدافع عنها باستخدام الروبوت العملاق غرانداىزر.

حقق المسلسل نجاحًا محدودًا في اليابان، لكنه أصبح أيقونة في الشرق الأوسط.

وصل مسلسل الأنمي إلى شاشات التلفزيون في المنطقة عام 1979، مدبلجًا إلى العربية، وبُثّ لأول مرة في لبنان خلال الحرب الأهلية اللبنانية. وقد لاقت قصة الدوق فليد البطل، صدىً لدى الأطفال الذين نشأوا وسط الصراع الإقليمي والاحتلال الإسرائيلي.

> قصة البطل المهجر تجد صدى لدى أجيال نشأت وسط النزاعات الإقليمية، بما في ذلك الاحتلال الإسرائيلي والحرب اللبنانية

انتشر المسلسل سريعًا في دول عربية مثل السعودية والكويت والعراق ومصر، مسجلاً نسب مشاهدة عالية، وأدى إلى إصدار سلع تذكارية ومجلات مصورة مخصصة.

كانت مواضيعه، كالدفاع عن الوطن، ومواجهة العدوان، وحماية الأبرياء، وثيقة الصلة بالواقع في المنطقة، مما حوّل المسلسل من مجرد ترفيه إلى ملاذ عاطفي.

يعود جزء كبير من تأثير المسلسل إلى نجاح دبلجته العربية. فقد أضفت الدبلجة العربية المتقنة والأداء الصوتي المؤثر، وخاصةً أداء الممثل اللبناني جهاد الأطرش لشخصية دوق فليد، على المسلسل عمقًا أخلاقيًا لم تضاهه أي رسوم متحركة أخرى في تلك الحقبة.

ويقول خبراء ثقافيون إن قصة البطل المهجر الذي يقاوم الغزاة تجد صدى لدى أجيال نشأت وسط النزاعات الإقليمية، بما في ذلك الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والحرب الأهلية اللبنانية.

وقال معلق:

@diyarbedirxan

من أقوى اللحظات في مسلسل غراند دايزر.
ظهور كوجي كبطل واقعي يقاتل بجانب دوق فليد، رغم غروره الأولي، أعطى غرندايزر قوة إضافية وشعبية كبيرة، علما ان كوجي هو أول طيار لروبوت خارق في تاريخ الانيمي.

وأشار الممثل اللبناني جهاد الأطرش في مقابلات سابقة إلى أن البث جاء في سياق "حزن العالم العربي على احتلال الأراضي الفلسطينية"، مضيفًا أن المسلسل حمل قيم الدفاع عن الوطن والسلام.

وكان مسلسل غرانداىزر مؤثرا للغاية في المنطقة إلى درجة أنه أصبح موضوعاً لدراسات أكاديمية، لم تقتصر على رصد مدى تأثر الجمهور في الشرق الأوسط بمعاناة شخصيات المسلسل، بل ربطت أيضاً شعبيته بذكريات التهجير التي رافقت أجيالاً متعاقبة، ولاسيما النكبة الفلسطينية عام 1948.

وأصبحت أغنية المسلسل، التي غناها سامي كلارك، بمثابة نشيد ظل الفنان اللبناني يؤديه في الحفلات والمهرجانات حتى وفاته عام 2022.

كان نص الأغنية مشحونا بمعاني القتال من أجل إحلال السلام ومقاومة الغزو والاحتلال، كما حفلت الحلقات بعبارات تكاد تكون مستعارة من أدبيات المقاومة وشعاراتها التي كانت تقال في التجمعات الشعبية وتكتب على الحيطان وتطبع في المنشورات والملصقات مثل "اللعنة على الغزاة"، "الويل للأشرار"، "الويل للمعتدين"، و"سحقا للغزاة".

ونشر حساب:

@dafna23j

اغنية نادرة (مدفوعة الثمن) من بطل غرندايزر, سامي كلارك لكنها لم تر النور وتم رفضها لإنها تصلح مقدمة رسوم متحركة

وبحلول أوائل الثمانينات، انتشر مسلسل غرانداىزر في جميع أنحاء الدول العربية، مُلهمًا جماهير غفيرة. بالنسبة للكثيرين، لم يكن هذا المسلسل مجرد أول تجربة لهم مع الأنمي، بل قدّم لهم أيضًا دروسًا في قيم مثل العدل والشرف.

وفي عام 2025، شهدت المنطقة احتفالات بالذكرى الخمسين، بما في ذلك معارض وإصدارات خاصة، مع استمرار بث الحلقات على قنوات فضائية عربية.

أعلن "جابان إكسبو باريس" أكبر مهرجانات الثقافة اليابانية في أوروبا، اختيار غرانداىزر شخصية العام، وخصص له معرضا ضخما بعنوان "غرانداىزر انطلق... خمسون عاما من الأسطورة". يمتد المعرض على مساحة تفوق 300 متر مربع، ويقدم سردا بصريا شاملا لمسيرة الشخصية: من إسكتشات جو ناغاي مؤلف المسلسل الأول، إلى مواد الإنتاج الأصلية في سبعينات القرن الماضي، وصولا إلى فترة شعبيته الكبرى في أوروبا والعالم العربي.

تتسم المواد المعروضة بندرتها: لوحات أصلية من أرشيف المانغا، صور فوتوغرافية من مراحل الإنتاج، مقابلات مصورة مع جو ناغاي، ونسخ أولى من مجسمات "شوغوكين" التي صدرت عام 1976.

يمتد الاحتفال إلى قلب العاصمة الفرنسية. ففي ممرات مترو شاتليه، أُقيم معرض فني مفتوح للجمهور، بالتعاون مع هيئة النقل في باريس، فتحوّلت المحطة الأكثر ازدحاما في المدينة إلى متحف عام لغرانداىزر يستقبل الآلاف من الزائرين يوميا.

وطرحت في اليابان مجموعة إصدارات فاخرة ومحدودة، أبرزها "ساعة "تيسو – غرانداىزر خمسون عاما" التي أُعلن عنها في سبتمبر 2025 ولم يُنتج منها سوى 1975 قطعة، في إشارة ترمز إلى تاريخ إطلاق الأنمي. تتميز الساعة بعقرب للثواني صُمم على شكل "الرزة المزدوجة" التي يستخدمها "دوق فليد"، وتأتي داخل علبة تحاكي مركبة "سبيزر" الشهيرة، وممهورة بتوقيع جو ناغاي نفسه.

بالتوازي مع هذا الزخم، عاد غرانداىزر إلى الشاشة بعد أكثر من أربعة عقود من التوقف. ففي 5 يوليو 2024، بدأ عرض "غرانداىزر يو"، العمل الجديد الذي تشارك في إنتاجه شركة مانغا للإنتاج، إحدى الشركات التابعة لمؤسسة محمد بن سلمان (مسك)، والمتخصصة في صناعة المحتوى الإبداعي من خلال إنتاج الرسوم المتحركة وألعاب الفيديو والقصص المصورة، وتسويقها.

شبكة سي.أن.أن تنشر أدلة على فظائع ارتكبتها القوات المسلحة السودانية بدوافع عرقية

الخرطوم - أفادت شبكة سي.أن.أن بأن القوات المسلحة السودانية والميليشيات المتحالفة معها شنت حملة اغتيالات ذات دوافع عرقية في ولاية الجزيرة السودانية، شملت إلقاء جثث في قنوات مائية وإخفاء مقابر جماعية.

وثّقت سي.أن.أن، بالتعاون مع مؤسسة لايتهاوس روبروتز، حملة استمرت شهورًا بقيادة القوات المسلحة السودانية ضد مجتمعات "الكنابي" الزراعية (معظمهم من السودانيين السود غير العرب) في ولاية الجزيرة، من أواخر عام 2024 وحتى عام 2025، تحت غطاء عملية "تطهير" بعد استعادة ود مدني من قوات الدعم السريع.

ويصف التحقيق هجمات ممنهجة على المدنيين غير العرب في القرى الريفية، بما في ذلك عمليات قتل جماعي، وحرق قرى، ومحاولات لإخفاء الأدلة عبر مقابر جماعية ودفن الجثث في قنوات الري.

جمع التحقيق المشترك وتحقق من مئات مقاطع الفيديو وصور الأقمار الاصطناعية وشهادات الناجين ومبلغي القوات المسلحة السودانية، والتي أظهرت إلقاء الجثث في قنوات المياه ودفنها في مقابر جماعية على عجل. ويصف أحد زعماء المجتمع المحلي، الذي ورد ذكره في التقرير، مشاهدته الشخصية لجنود القوات المسلحة السودانية وهم يلقون ثلاث جثث في قناة، ثم تنقله لاحقًا عبر الجزيرة لتوثيق تدمير العديد من مستوطنات كنابي، بما في ذلك مستوطنات لم تكن خاضعة لسيطرة قوات الدعم السريع.

ويروي شهود عيان دخول جنود القوات المسلحة السودانية منازل في مدن وقرى الجزيرة، وفصلهم عن رجال من مناطق غير عربية مثل النيل الأزرق، واقتيادهم، ثم علمت عائلاتهم لاحقًا بمقتلهم.

ويقول العديد من الناجين والمبلغين عن المخالفات إن هدف العملية كان طرد أو تدمير المجتمعات ذات الأغلبية الأفريقية التي تعتبرها القوات المسلحة السودانية والشبكات الإسلامية المتحالفة معها دخيلة على الجزيرة، مما يجعل العنف ذا دوافع عرقية ومنهجياً.

> الإعلام يلعب دوراً حاسماً في كشف جرائم الحرب في النزاعات المسلحة، من خلال توثيق الانتهاكات ورفع الوعي العام

يسلط التحقيق الضوء على دور الميليشيات المدعومة من الإسلاميين، بما في ذلك قوات درع السودان، التي تعمل جنباً إلى جنب مع القوات المسلحة السودانية في هذه الهجمات على المدنيين. وقد وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش بشكل منفصل أن مقاتلي درع السودان، المتحالفين مع القوات المسلحة السودانية، استهدفوا المدنيين عمداً في الجزيرة (على سبيل المثال في قرية طيبة)، وقتلوا ونهبوا بطرق ترقى إلى جرائم حرب، مما يعزز النمط الموصوف في تقرير شبكة سي.أن.أن/ لايتهاوس.

ووفقاً لتقارير لايتهاوس، لم ترد القوات المسلحة السودانية ولا جهاز المخابرات العامة السوداني على أسئلة تفصيلية حول النتائج، بينما نفت قوات درع السودان استهداف المدنيين على أساس عرقي وزعمت التزامها بالقانون الإنساني الدولي. وقالت مصادر رفيعة المستوى تم استجوابها في إطار التحقيق إن أوامر الحملة صدرت من قيادة القوات المسلحة العليا وشخصيات إسلامية نافذة، مما يشير إلى مسؤولية على مستوى القيادة عن عمليات القتل وممارسات التخلص من الجثث، بما في ذلك تلك المتعلقة بالقنوات.

ويلعب الإعلام دوراً حاسماً في كشف جرائم الحرب في النزاعات المسلحة، من خلال توثيق الانتهاكات ورفع الوعي العام، مما يساهم في الضغط على الأطراف المتحاربة والمجتمع الدولي للمحاسبة.

وفي نزاعات مثل الحرب الأهلية في السودان المستمرة منذ أبريل 2023، والتي أودت بحياة عشرات الآلاف وشردت أكثر من 12 مليون شخص، أصبحت الصحافة الاستقصائية أداة أساسية لتوثيق الانتهاكات التي قد ترقى إلى جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية.

ويعتمد الصحفيون على أدوات حديثة مثل تحليل الفيديوهات مفتوحة المصدر، صور الأقمار الاصطناعية، وشهادات الناجين والمخبرين لكشف الهجمات على المدنيين.

في وقت سابق، غطت وكالات الأنباء مثل رويترز إدانة الجيش السوداني لـ"انتهاكات فردية" في الجزيرة في يناير 2025، بعد اتهامات مشابهة، وأعلن الجيش إجراء تحقيق لم تنشر نتائجه.

ويساهم الإعلام في النزاعات من خلال توفير تغطية محايدة، ونقل الردود الرسمية من جميع الأطراف، وتجنب التحيز، مما يساعد في منع الإفلات من العقاب ودعم التحقيقات الدولية، مثل تلك التي تجريها المحكمة الجنائية الدولية.

ومع ذلك، يواجه الصحفيون مخاطر كبيرة، حيث قتل العشرات في السودان منذ بدء الحرب، وأصبحت وسائل التواصل الاجتماعي مصدرا مزدوجا ينشر المعلومات والشائعات على حد سواء.

في النهاية، يظل الإعلام جسرا بين الضحايا والعدالة في نزاعات غالباً ما تُوصف بـ"المنسية"، مثل السودان الذي يواجه أكبر أزمة إنسانية عالميا حاليا.

توثيق لأجل العدالة

الحكومة الأردنية توجه بتوفير المعلومات للصحفيين لسد فجوة الثقة

عمان - أكد وزير الاتصال الحكومي والناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية محمد المومني استمرار الحكومة في سياسة التواصل المفتوح مع وسائل الإعلام، من خلال توجيه رسمي جديد يلزم الوزارات والمؤسسات الحكومية بتسهيل وصول الصحفيين إلى المعلومات وتقديم التوضيحات اللازمة بسرعة.

يأتي الكتاب الرسمي الذي وجهه المومني إلى جميع الجهات الحكومية امتدادا مباشرا لنهج أعلنه منذ توليه المنصب في سبتمبر 2024، حيث وصف الإعلام مرارا بأنه "شريك إستراتيجي" في مواجهة التضليل.

وقال المومني في تصريح سابق لوكالة الأنباء الأردنية (بترا) في مايو 2025 "الإعلام الوطني هو خط الدفاع الأول عن الحقيقة، وعلينا تمكينه من أدوات الوصول إلى المعلومات الدقيقة ليتمكن من أداء دوره في تعزيز الوعي المجتمعي".

ويرى مراقبون أن هذا التوجيه يعكس وعيا متزايدا لدى الحكومة الأردنية بأهمية الشفافية في ظل انتشار المنصات الرقمية وتزايد حملات التضليل الإقليمية، خاصة في قضايا حساسة مثل الوضع في غزة والضفة الغربية والتوترات مع إسرائيل. كما يأتي في سياق تنفيذ تعديلات قانون ضمان حق الحصول على المعلومات لعام 2024، التي وسعت نطاق المعلومات المتاحة وقلصت الاستثناءات.

وأضاف المومني في تصريح أدلى به خلال مؤتمر صحفي في أكتوبر 2025 "نحن نعمل على بناء علاقة ثقة مستدامة مع المواطن من خلال إعلام مهني ومسؤول، ينقل الرواية الرسمية بدقة ويواجه الشائعات في الوقت المناسب".

وأكد قبلها في مناسبة أخرى في أغسطس 2025 أن "الشفافية ليست خيارا، بل ضرورة وطنية في عصر المعلومات السريعة".

وسبق أن قال الباحث في شؤون الإعلام الأردني فهد الخيطان إن "هذا النهج يمثل نقلة نوعية نحو إعلام حكومي استباقي، يسعى لكسب المبادرة في السردية العامة بدلا من الرد الدفاعي المتأخر".

يُنظر إلى الخطوة كجزء من إستراتيجية أوسع لتعزيز الثقة العامة في المؤسسات، خاصة في ظل استطلاعات رأي أظهرت تراجعاً طفيفاً في الثقة بالمعلومات الرسمية خلال السنوات الأخيرة بسبب انتشار وسائل التواصل.

> التوجيه يعكس وعيا متزايدا لدى الحكومة بأهمية الشفافية في ظل انتشار المنصات الرقمية وتزايد حملات التضليل

وأظهرت استطلاعات رأي حديثة تحسنا ملحوظا في مستويات الثقة بالحكومة خلال 2024 و2025، لكنها لا تزال تواجه تراجعا تاريخيا مقارنة بسنوات سابقة.

وفقا لاستطلاع الباروميتر العربي لعام 2023 – 2024، ارتفعت نسبة الثقة في الحكومة إلى 39 في المئة، مقارنة بـ32 في المئة في 2022، ويرجع جزء من هذا الارتفاع إلى الموقف الأردني الداعم للقضية الفلسطينية أثناء الحرب في غزة. كما سجل استطلاع مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية في أبريل 2025 ثقة تصل إلى 65 في المئة بالحكومة، وهي أعلى نسبة منذ 2011.

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

تراجع المشروع الإيراني... ماذا عن سوريا؟

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

كانت السنة 2025 سنة تراجع المشروع التوسّعي الإيراني في المنطقة. كان خروج سوريا من السيطرة الإيرانية أبرز دليل على هذا التراجع. تنتظر المنطقة في السنة 2026 تحولات كبرى في مقدّمها ما سيتمخض عنه. ستكون سوريا، من دون مبالغة، حجر الزاوية لمرحلة جديدة في المنطقة للمرّة الأولى منذ العام 1979 عندما أقام آية الله الخميني "الجمهوريّة الإسلاميّة" الإيرانية، رافعا شعار "تصدير الثورة". تراجع المشروع الإيراني... ماذا عن سوريا ومستقبلها؟

الحل في بناء سلطة وطنية جامعة تعبّر عن إرادة السوريين جميعا وتجعل من الانتماء إلى سوريا الهوية العليا التي تعلو على أي انتماءات ذات طابع مذهبي أو طائفي أو قومي

الثابت الوحيد إلى الآن، أي منذ رحيل بشار الأسد إلى موسكو، أنّ لا عودة إيرانيّة إلى سوريا. سيكون نجاح سوريا نجاحا عربيّا قبل أي شيء. لكنّ مشكلة هذا النجاح تكمن في أنّه ليس مضمونا خصوصا في ضوء الحاجة إلى تصحيح المسار الذي اختارته السلطة السورية المؤقتة الحالية برئاسة أحمد الشرع. سيكون تصحيح المسار الإشكالية الأبرز في المشهد السياسي السوري نظرا إلى أن التصحيح لم يعد خيارًا يُناقش، بل تحول إلى ضرورة قصوى، سواء جاء استجابة لضغوط داخليّة مطالبة بالاستقرار، أو نتيجة إرادة دولية لا تُمنح شرعيتها ومواردها إلا مقابل ضمانات فعلية وحقيقية للإصلاح.

يظل الهدف الأساسي تجاوز الشكل الحالي للسلطة في اتجاه جوهر جديد، أي نحو بناء سلطة وطنية جامعة، تعبّر عن إرادة السوريين جميعًا، وتعمل على جمع الشمل تحت مظلة مواطنة متساوية تحمي الجميع، وتجعل من الانتماء إلى سوريا الهوية العليا التي تعلو على أي انتماءات أخرى ذات طابع مذهبي أو طائفي أو قومي. هذا ما يدعو إليه أحمد الشرع علنا. إنه أمر يحتاج إلى خطوات عملية على أرض الواقع بغية التحول إلى نهج معتمد من السلطة الجديدة.

تكمن المُعضلة في أصل هذه السلطة، فهي لم تنبثق من إرادة شعبية عبر انتخابات ديمقراطية، وبالتالي تفتقر إلى الشرعية السياسية التقليدية. هذا الواقع صعب إلغاؤه، بل يفرض التعامل معه بمنطق براغماتي، كي تكون بوصلة العمل في اتجاه تحقيق المصلحة العليا للبلاد واستقرارها. هذه معادلة وجودية تتجاوز بكثير الأشخاص والكيانات الفاعلة الحالية، بما فيها الإدارة الحالية وجماعة "هيئة تحرير الشام". إنها معادلة تتعلق ببقاء سوريا دولة متماسكة. تتعلّق عمليا بالنجاح في امتحان ما بعد نظام آل الأسد الذي لم يمتلك أي شرعيّة من أي نوع في يوم من الأيام. لا يعود ذلك إلى أنّه ولد من رحم انقلابات عسكرية متتالية بدأت يوم الثامن من آذار – مارس 1963 فحسب، بل يعود أيضا إلى أنّ نظام آل الأسد قام على فكرتين أساسيتين. كانت أولاهما الحصول على ضمانة أمنية إسرائيلية للنظام في مقابل تسليم الجولان الذي حصل في 1967 والثانية تكريس وجود طبقة تنتمي إلى الطائفة العلويّة تسيطر عمليا على المفاصل الرئيسية للبلد وتتحكم بها في مجالات الأمن والسياسة والاقتصاد.

من هذا المنطلق، فإن الخيار الإستراتيجي الأكثر واقعية في هذه المرحلة الحرجة لا يتمثل في السعي لإسقاط هذه السلطة، لأنه مسار محفوف بمخاطر الفوضى العارمة داخليًا وإقليميًا، بل في السعي الحثيث لإجبارها على إصلاح نفسها وتغيير مسارها.

تبرز هنا نقطة ضغط محورية، فالانفتاح الذي قامت به الإدارة السورية الجديدة، بخاصة مع الغرب، هو سلاح ذو حدين. فهو وإن كان يُرى كمنفذ للنجاة، فإنه في حقيقته يمثل فخا وضعت السلطة نفسها فيه، إذ أن هذا الانفتاح لن يكون بلا ثمن. يشكّل هذا الانفتاح الدولي النافذة التي تُدخل من خلالها آليات الرقابة والحوكمة. هذه الآليات نفسها ستتحول مع الوقت إلى أدوات ضغط مستمرة لإجبار السلطة السورية الحالية على مراجعة سياساتها وتعديل أساليب حكمها، في حال أرادت الاحتفاظ بأي دعم أو اعتراف دوليين.

من هنا يأتي الدور المحوري للسوريين والسوريات والمجتمع المدني السوري. فالمظلة الدولية القائمة، والقلق الأوروبي المُلح حيال مسألة استقرار سوريا واستمراره والذي ينبع في معظمه من قضية اللاجئين واللاجئات فقط توفر فرصة تاريخية. سيكون على القوى التي يتشكل منها المجتمع السوري استغلال هذا الاهتمام والضغط للدفع باتجاه تحقيق مطالب الشعب في الديمقراطية والتعددية والحكم الرشيد. يفترض أن يكون التركيز على تحويل المساعدات الدولية من مجرد منح لإطفاء الحرائق إلى أدوات للبناء المؤسسي المستدام، عبر ربط المنح والقروض الميسرة بمسارات موازية للإصلاح السياسي والرقابة المدنية، تقود نحو سوريا التعددية والديمقراطية المنشودة. من خلال عمليات الضغط الهادئ سيدرك الشعب السوري أن التغيير ليس مخيفا، وأن فكرة "السلطة الدائمة" هي وهم أسطوري مثل الغول والعنقاء والخل الوفي، فالدول تُبنى بالمؤسسات لا بالأشخاص. بكلام أوضح، تبدو الحاجة إلى طلاق فعلي مع نظام آل الأسد وممارساته.

من الواضح أن الإدارة الحالية، ممثلةً بالرئيس أحمد الشرع وحكومته، بدأت تدرك، ولو متأخرةً، خطورة هذه المعادلة، معادلة السعي إلى"السلطة الدائمة". يدرك الرئيس السوري والحكومة التي شكلها أن الاستقرار الحقيقي يبقى وهما بلا مشاركة وطنية حقيقية، وأن تحقيق الشراكة الوطنية هو الضامن الوحيد لخلق بيئة جاذبة للاستثمارات العربية والدولية... وتوفير التمويل الضروري لإعادة الإعمار والتنمية. هذا الإدراك، رغم كونه ما زال ضعيفا، يبقى المدخل الواقعي الوحيد المتاح اليوم لإحداث التأثير والتغيير المرجو في سوريا.

الدول تُبنى بالمؤسسات لا بالأشخاص

السنة 2026 ستكون سنة مفصلية لسوريا والمنطقة كلّها وعنوانا لامتحان يتلخص بسؤال في غاية البساطة: هل في استطاعة سوريا الطلاق مع نظام آل الأسد والفكرتين اللتين تحكمتا به؟

إن فرض مسار إصلاحي على السلطة الحالية، رغم كل صعوباته وتعقيداته، مع الأساس المتطرف الذي انبثقت منه سلطة الشرع، يبقى المسار الواقعي الأوحد المتاح لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سوريا، والسبيل الأوحد لوضع حجر الأساس لمستقبل أفضل. إنه طريق شائك وصعب، لكنه الطريق الوحيد الذي يلتقي فيه منطق الضرورة القاسي مع بصيص الأمل في إمكانية ولادة سوريا جديدة.

في ضوء هذه الظروف، ستكون السنة 2026 سنة مفصلية لسوريا والمنطقة كلّها وعنوانا لامتحان يتلخص بسؤال في غاية البساطة: هل في استطاعة سوريا الطلاق مع نظام آل الأسد والفكرتين اللتين تحكمتا به؟

لماذا فشلت ليبيا... وماذا يحمل عام 2026 لليبيين؟

صلاح الهوني
إعلامي ليبي

بلد يملك كل مقومات النجاح، كيف يفشل؟ ثروات نفطية هائلة، سواحل طويلة على المتوسط، ومساحة جغرافية واسعة تمنحه موقعًا إستراتيجيًا بين أفريقيا وأوروبا. ومع ذلك، يودّع عام 2025 غارقا في أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية جعلت شباب ليبيا يقارنون بين حالهم وحال دول أقل ثراء لكنها أكثر استقرارًا، ويتساءلون بمرارة: لماذا فشلنا؟

هذا ليس مجرد سؤال عن أزمة آنية، بل عن إخفاق بنيوي عميق. فبعد أربعة عشر عامًا على الثورة التي أطاحت بنظام القذافي، لم تتحول ليبيا إلى الدولة الحديثة التي حلم بها الشباب، بل تحولت إلى نموذج مأساوي لدولة غنية بمواردها وفقيرة بمؤسساتها. هذا الفشل لم يأتِ من فراغ، وإنما نتيجة تراكمية لعدة عوامل مترابطة، بدأت بالانقسام السياسي الذي مزق نسيج الدولة الواحدة.

انقسمت ليبيا بين شرق وغرب، بين حكومتين وبرلمانين، بين مراكز قوى متعددة، ففقدت أبسط مقومات الدولة: الشرعية الجامعة. لم تعد هناك سلطة واحدة تمثل الإرادة العامة، ولم تعد هناك مؤسسات موحدة قادرة على فرض القانون. كل طرف يعمل على إضعاف الطرف الآخر بدلاً من العمل على بناء الوطن المشترك. وأصبحت كل محاولة للتوافق الوطني تسقط تحت وطأة المصالح الضيقة والرغبة في الهيمنة.

غياب الدستور الجامع هو الوجه الآخر لهذا الانقسام. فالدولة التي لا تستطيع أن تتفق على قواعد اللعبة السياسية، لا يمكنها أن تبني مستقبلا مشتركًا. كل محاولة لصياغة عقد اجتماعي جديد انتهت إلى مزيد من الخلافات، وكل حديث عن انتخابات تحول إلى معركة حول الشروط والأحكام قبل أن تكون معركة حول البرامج والأفكار. هذا الفراغ الدستوري حوّل العملية السياسية إلى حلبة صراع لا تنتهي.

ورغم الثروة النفطية الهائلة التي تمتلكها ليبيا، إلا أن اقتصادها ظل ريعيًا هشًا، يعتمد على عائدات النفط دون أي تنويع حقيقي. أصبح النفط مصدرا للصراع بدلاً من أن يكون مصدرا للتنمية. ومع انهيار مؤسسات الدولة، انهارت آليات إدارة هذه الثروة، وضاعت عائدات النفط بين حسابات خاصة ومصالح ضيقة، بينما ظل المواطن الليبي يعاني من انهيار الخدمات الأساسية وتردي مستويات المعيشة.

في ظل غياب المؤسسات الرقابية القوية، تشكلت شبكات مصالح تعمل على نهب المال العام وتوجيهه نحو أهداف شخصية وسياسية ضيقة. لقد تحولت الدولة من أداة لخدمة المواطن إلى أداة لخدمة النخب الحاكمة، وأصبحت الثروة الوطنية سلعة في أيدي قلة، بينما تعاني الأغلبية من الفقر والحرمان.

وكان للتدخلات الخارجية دورها الخطير في تعميق الأزمة الليبية. فقد تحولت ليبيا إلى ساحة تنافس إقليمي ودولي، حيث سعت قوى مختلفة إلى دعم أطراف معينة لتحقيق مصالحها الخاصة. هذا التدخل الخارجي لم يقتصر على تقديم الدعم السياسي أو المالي، بل امتد إلى تقديم الدعم العسكري، مما حول الصراع الداخلي إلى حرب بالوكالة، وأضعف أي محاولة لحل وطني يخرج من رحم المجتمع الليبي نفسه.

وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذه العوامل انهيار الأمن والاستقرار. لم يعد المواطن الليبي يشعر بالأمان في بيته أو في شوارع مدينته، وأصبح الخوف رفيقه الدائم. الوضع الأمني المتردي لم يؤثر فقط على حياة الناس اليومية، بل عطل أي محاولة جادة للتنمية الاقتصادية أو الإصلاح المؤسسي.

ولم تكن هذه الأزمات السياسية والاقتصادية والأمنية بمعزل عن المجتمع الليبي، بل تركت آثارا عميقة على نسيجه الاجتماعي. فمع انهيار الدولة، انهارت معها الخدمات الأساسية التي تقدمها للمواطنين. الكهرباء تنقطع لساعات طويلة، والمستشفيات تفتقر إلى أبسط المعدات الطبية، والمدارس والجامعات تعاني من تدهور مستويات التعليم، والمصارف أصبحت عاجزة عن تقديم خدماتها.

وكان الشباب الليبي الأكثر تأثرا بهذه الأزمة متعددة الأوجه. فمع ارتفاع معدلات البطالة إلى مستويات قياسية، ومع غياب فرص العمل اللائق، تحول جيل كامل من الشباب الليبي إلى جيل محبط. الشباب الذين خرجوا في ثورة 2011 يحلمون بدولة حديثة وعادلة، وجدوا أنفسهم بعد سنوات عديدة في مواجهة واقع مرير، حيث الفساد يستشري، والفرص تنعدم، والمستقبل يبدو غامضا ومقلقا.

اليأس الذي يعيشه الشباب الليبي تحول في عام 2025 إلى غضب شعبي تجلى في موجات احتجاجية متتالية. لقد خرج الشباب إلى الشوارع يطالبون بحقوقهم، ويطالبون بمستقبل أفضل، وهو ما يعتبر مؤشرا واضحا على أن الصبر الشعبي قد نفد، وأن الشعب الليبي لم يعد يقبل بالواقع المتردي الذي يعيشه.

وهنا نصل إلى السؤال الثاني: ماذا يحمل عام 2026 لليبيا؟ الإجابة على هذا السؤال ليست بسيطة. مستقبل ليبيا سيتحدد بناء على عدة عوامل متداخلة.

السيناريو الأول هو الاستمرار في الفشل. وهو الأكثر ترجيحا إذا استمرت الأمور على حالها. في هذا السيناريو، سيتعمق الانقسام السياسي، وستتفاقم الأزمة الاقتصادية، وستنهار العملة الوطنية أكثر، وستزداد الاحتجاجات الشعبية. ليبيا في هذا السيناريو ستكون دولة فاشلة بكل معنى الكلمة، دولة منهكة بالصراعات الداخلية، دولة بلا مستقبل.

أما السيناريو الثاني فهو الإصلاح التدريجي. في هذا السيناريو قد تنجح الضغوط الداخلية والخارجية في فرض تسوية سياسية جزئية، تؤدي إلى توحيد بعض المؤسسات المالية أو إطلاق إصلاحات اقتصادية محدودة. هذا السيناريو ممكن لكنه يحتاج إلى إرادة سياسية حقيقية من جميع الأطراف، وإلى استعداد للتضحية بالمصالح الشخصية الضيقة من أجل المصلحة الوطنية العليا.

والسيناريو الثالث هو الانفراج النسبي. في هذا السيناريو قد تنجح مبادرات الشباب والمجتمع المدني في فرض أجندة إصلاحية على الطبقة السياسية. قد تتحول الاحتجاجات الشعبية إلى قوة ضاغطة حقيقية، قد تنتج قيادات شابة جديدة تفرض نفسها على الساحة السياسية وتحمل مشروعا وطنيًا جامعا. هذا السيناريو يتطلب قدرة على تحويل الغضب الشعبي إلى برامج عمل واضحة وقابلة للتحقيق.

أما السيناريو الرابع فهو سيناريو الانفجار. في هذا السيناريو، إذا فشلت كل المسارات السابقة قد تتجه البلاد إلى موجة عنف جديدة، وتتحول الاحتجاجات السلمية إلى صراعات مسلحة، وينقسم البلد إلى دويلات متصارعة. هذا السيناريو هو الأسوأ على الإطلاق، وهو يعني نهاية ليبيا كدولة موحدة.

هذا يقودنا إلى السؤال من المؤهل لقيادة التغيير في ليبيا؟ الإجابة تحتاج إلى نظرة واقعية. ليبيا لا تحتاج إلى زعيم فردي، فهذه التجربة فشلت في الماضي وأدت إلى الاستبداد. ليبيا تحتاج إلى قيادة توافقية، إلى ائتلاف واسع يجمع القوى الوطنية المختلفة، إلى حكومة قادرة على إدارة المرحلة الانتقالية، وإلى مؤسسات قوية قادرة على فرض القانون وتحقيق العدالة.

الشباب الليبي يجب أن يكون في قلب هذه العملية. الشباب الذين خرجوا في احتجاجات 2025، والذين يعانون من البطالة واليأس، هم من يملك الطاقة والإرادة لقيادة التغيير. لكن عليهم أن يتحولوا من قوة احتجاجية إلى قوة سياسية، أن ينظموا أنفسهم، أن يطرحوا برامجهم، أن يشاركوا في العملية السياسية بكل أدواتها.

للمجتمع المدني والإعلام دور محوري أيضًا. فالمجتمع المدني يمكن أن يكون الجسر بين الدولة والمواطن، يمكن أن يكون أداة للمراقبة والمحاسبة، يمكن أن يساهم في بناء الثقة المفقودة. والإعلام الحر والنزيه يمكن أن يكون سلطة رابعة حقيقية، يكشف الفساد، ويساهم في بناء الوعي الوطني.

الطريق طويل وشاق لكنه ليس مستحيلًا. ما سيقرره الليبيون في العام المقبل سيحدد إن كانوا سيبقون أسرى الماضي أم سيكتبون بداية جديدة لدولة تستحق أن يعيش فيها أبناؤها بكرامة وأمان

أما الدعم الدولي فهو ضروري لكن بشروط. ليبيا تحتاج إلى دعم فني واقتصادي من المجتمع الدولي، لكن هذا الدعم يجب أن يكون مشروطا بإصلاحات حقيقية، ببناء المؤسسات، بمحاربة الفساد، بتحقيق المصالحة الوطنية. الدعم الدولي يجب ألا يكون أداة للتدخل في الشؤون الداخلية، بل أداة لتعزيز السيادة الوطنية والاستقرار.

ليبيا تودع عام 2025 وهي تحمل عبئًا ثقيلا من الإخفاقات، لكنها تدخل عام 2026 وهي لا تزال تملك فرصة للتغيير. الفرصة ليست في الثروات الطبيعية، وليست في الموقع الإستراتيجي، بل في الشعب الليبي نفسه، في إرادته، وفي تصميمه على بناء دولة عادلة ومستقرة. ليبيا لن تنهض إلا إذا تحولت من دولة ريعية منقسمة إلى دولة مواطنة ومؤسسات.

الطريق طويل وشاق، لكنه ليس مستحيلا. ما سيقرره الليبيون في العام المقبل سيحدد إن كانوا سيبقون أسرى الماضي، أم سيكتبون بداية جديدة لدولة تستحق أن يعيش فيها أبناؤها بكرامة وأمان.

الشباب في قلب عملية التغيير

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

اليمن.. تصحيح البوصلة لتحرير صنعاء

الشيخ ولد السالك
صحافي موريتاني

قبل أكثر من عشرة أعوام وجّه الرئيس اليمني السابق عبدربه منصور هادي نداءً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، لوضع حدّ للانقلاب الذي نفذته جماعة الحوثي المدعومة من إيران على الشرعية اليمنية. ولم يتأخر الملك سلمان في تلبية النداء، إذ أعلن عن عملية عاصفة الحزم التي انضمت إليها العديد من الدول تضامنًا مع المملكة العربية السعودية، وعلى رأسها دولة الإمارات العربية المتحدة.

غير أن تحديات عديدة تسببت في إطالة أمد الحرب، التي تحولت إلى حالة استنزاف مادي للمملكة والدول المساندة لها. ويُعدّ تقاعس القوات التابعة لحزب الإصلاح اليمني (فرع جماعة الإخوان المسلمين في اليمن) من أبرز أسباب تعثر الحسم. فقد شكّلت القوى التي يسيطر عليها حزب الإصلاح ضمن منظومة الشرعية عاملًا رئيسيًا في تأخير المعركة واستنزاف الموارد، ما أدى إلى تجميد الجبهات ومنع تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في تحرير صنعاء.

واتسم النهج المتّبع في المحاور الخاضعة لقيادة هذه القوى بتجميد الجبهات الحساسة في الشمال، وتحويل الأولوية من التقدم العسكري إلى السيطرة الإدارية والمناطقية في المحافظات المحررة، مستغلةً الدعم السعودي المادي والعسكري الموجّه للتحرير. وقد أثبت هذا التكتيك عدم جدواه في تحقيق أي تقدم نوعي، الأمر الذي أسهم في إطالة أمد الصراع بشكل غير مبرر.

ويمكن ربط الفشل في ترجمة الدعم السعودي السخي إلى إنجازات عسكرية حاسمة بحالة الاستنزاف المالي الهائل، ما أثار تساؤلات مشروعة حول كفاءة الإنفاق. وتشير تحليلات عديدة إلى أن هذه الأطراف وجدت مصلحتها في استمرار حالة "اللاسلم واللاحرب"، إذ يضمن الوضع الراهن تدفق الدعم المالي والعسكري، ويحافظ على نفوذها الاقتصادي والإداري، على حساب المصلحة الوطنية العليا المتمثلة في استعادة الدولة وإنهاء الانقلاب. وقد كان هذا التضارب في المصالح سببًا مباشرًا في إعاقة تقدم المعركة.

في المقابل، استطاعت القوات الجنوبية تحرير محافظة عدن وعدد من المحافظات الأخرى من قبضة الحوثيين، وبدأت العمل على تنظيم صفوفها عسكريًا، وتدريب قواتها وتسليحها بشكل منهجي، بدعم من الحلفاء في دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. وترافق هذا المسار مع تشكيل كيان سياسي أُطلق عليه المجلس الانتقالي الجنوبي، الذي شكّل الغطاء السياسي لهذه القوات.

وليس سرًا أن المجلس الانتقالي تأسس بهدف المطالبة باستعادة دولة الجنوب، وهو أمر يتفق الجميع على أنه سيكون مطروحًا على طاولة الحوار بعد تحرير العاصمة صنعاء، وجلوس اليمنيين كافة لتقرير شكل نظام الحكم في مرحلة ما بعد الحوثي. وقد جرى الاعتراف بطموحات المجلس الانتقالي الممثل لأبناء الجنوب في اتفاق الرياض 2019، وكذلك في مشاورات الرياض 2022، حيث عُيّن رئيس المجلس الانتقالي، عيدروس الزُبيدي، نائبًا لرئيس مجلس القيادة الرئاسي، الذي يتولى تمثيل اليمن أمام المجتمع الدولي.

إن الخطوات التي أقدم عليها المجلس الانتقالي، من خلال سيطرته على كامل المحافظات الجنوبية الست، والتي بلورت دوره كشريك فاعل ضمن الحكومة المعترف بها، تمثل في حقيقتها مواءمة إستراتيجية مع المصالح السعودية العليا لإنهاء الانقلاب الحوثي. فالمجلس الانتقالي يملك قوة قتالية منظمة وفعالة، تتمتع بعقيدة عسكرية واضحة، وقادرة على المساهمة في تحرير صنعاء، وهو الهدف الذي أعلن عنه رئيس المجلس عيدروس الزُبيدي في أكثر من مناسبة، لاسيما بعد السيطرة على محافظتي حضرموت والمهرة.

وقد شكّلت النجاحات الميدانية التي حققتها القوات الجنوبية، مثل قوات العمالقة وقوات الحزام الأمني، في استعادة مساحات واسعة من سيطرة الحوثيين في محافظات كشبوة وأبين، إضافة إلى المعارك البطولية ضد تنظيم القاعدة، وعلى رأسها إنهاء سيطرة التنظيم الإرهابي على مدينة المكلا، نموذجًا قابلًا للاستنساخ في معادلة "تحرير الأرض وتثبيت الاستقرار".

ويأتي هذا الأداء على النقيض من حالة الجمود التي تشهدها جبهات الشمال، ما يجعل هذه القوات خيارًا إستراتيجيًا أكثر فاعلية بالنسبة إلى الرياض.

ولا شك أن المملكة العربية السعودية سخّرت إمكانياتها المادية والدبلوماسية واللوجستية والعسكرية كافة لتلبية نداء الرئيس عبدربه منصور هادي، كما أن الدول التي وقفت إلى جانبها، وعلى رأسها دولة الإمارات العربية المتحدة، لم تدخر جهدًا في هذا المسار. غير أن العائق الأبرز، وبإجماع المراقبين، ظلّ يتمثل في تصرفات قوات حزب الإصلاح الإخواني، التي بات واضحًا أنها تقف حائلًا دون إزاحة الحوثي وإنهاء انقلابه.

لقد أثبتت السنوات الماضية أن الرهان على قوى ذات أجندات حزبية متضاربة لا يخدم هدف تحرير اليمن. واليوم، يمثّل استقرار الجنوب، من خلال شراكة إستراتيجية حقيقية مع قيادته، حجر الزاوية الذي يمكن البناء عليه لإعادة توجيه الجهود نحو المعركة الأهم في الشمال. إنها إستراتيجية تهدف إلى إنهاء الانقلاب الحوثي بأقل كلفة ممكنة، وبأقصى قدر من النتائج الميدانية، وصولًا إلى تسوية سياسية دائمة تضمن أمن المملكة العربية السعودية واستقرار المنطقة والأمن الإقليمي عمومًا.

كما أثبتت السنوات الماضية أن أبناء الجنوب اليمني يحملون في ذاكرتهم الجمعية عرفانًا لا يُنسى لكل من وقف إلى جانبهم في أحلك الظروف. ولا أدل على ذلك من تقديرهم العميق للدعم الإماراتي، الذي تجاوز الإغاثة والدعم العسكري إلى بناء المؤسسات وترسيخ الاستقرار والأمن. هذا الامتنان، الذي يُلاحظ بوضوح لدى كل جنوبي عند ذكر اسم الإمارات، ليس مجرّد مظاهر عابرة، بل قناعة راسخة تُترجم إلى مواقف وأفعال.

وقد تجسد هذا الوفاء في مشاهد مهيبة، حيث خرجت في أكثر من مناسبة مسيرات شعبية حاشدة في مختلف مدن الجنوب، تضامنًا مع دولة الإمارات ومواقفها، مؤكدين أن العلاقة الأخوية أعمق من الظروف الطارئة. إن هذا العرفان الصادق يؤكد أن الروابط المشتركة، المهورة بدماء الأبطال، تشكّل ركيزة ثابتة في وجدان هذا الجزء من اليمن تجاه دولة الإمارات العربية المتحدة.

وفي الوقت الذي تنطلق من عدن دعوات صريحة لتوحيد الجبهة الوطنية المناهضة لجماعة الحوثي، بقيادة رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي ونائب رئيس مجلس القيادة الرئاسي عيدروس الزُبيدي، لا يزال حزب الإصلاح الإخواني يعمل جاهدًا على عرقلة الاستجابة لهذه الدعوات. وهنا يبرز السؤال المشروع: هل تمثل هذه المرحلة بداية النهاية لمشروع الإخوان في اليمن؟

أمن حضرموت خط أحمر

الانتقالي الجنوبي.. التراجع نصف انتصار

تفاعل إيجابي مع دعوة الرياض

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

تغاضى المجلس الانتقالي الجنوبي عن تحذيرات السعودية ورفض الانسحاب من المناطق التي سيطر عليها في حضرموت والمهرة، ما استدعى تدخلًا سعوديًا مباشرًا ضد قواته. وهو تدخل لا يزال محدودًا، لكنه يشير إلى أن المملكة جادة في دفع قوات المجلس إلى الخروج من مناطق سيطرته الجديدة. وفي الوقت نفسه، يُظهر التدخل المحدود والمدروس أن السعوديين لا يريدون مواجهة مباشرة مع الانتقالي، ولا عبر قوة "درع الوطن" التابعة للحكومة، والتي دربتها المملكة. فهو يحمل رسالة واضحة بأن الرياض لن تقبل بتقسيم اليمن.

في الحروب لا يمكن التعامل مع الأمر بمنطق المشروعية الشعبية وكرامة القيادات؛ الأمر يُقاس بالمصلحة: ماذا سيكسب الجنوبيون وماذا سيخسرون؟ وهو ما يجعل التراجع عن المغامرة الأخيرة بمثابة نصف انتصار

حتى الآن، لا يتجاوز الرد السعودي البعد التحذيري الجاد للمجلس، بأن سياسة فرض الأمر الواقع بقوة السلاح لن تمر مع السعودية، التي تسعى إلى التوصل لاستقرار دائم في اليمن يؤمّن حدودها، وترفض تحويله إلى بؤرة توتر وصراعات قبلية ومناطقية تفتح الباب أمام التدخلات الخارجية، واستدعاء تنظيمي داعش والقاعدة، واتساع حركة تهريب السلاح بما يهدد أمنها القومي.

من الواضح أن المجلس تفاجأ بالرد السعودي الحازم والمحسوب. لم يكن يتوقع أن تطلب المملكة تفويضًا من الحكومة اليمنية للتدخل ضده، ولا أن يتحرك الطيران السعودي تحت مظلة التحالف العربي لاستهداف بعض المجموعات المناطقية المسلحة التابعة له. التحالف العربي، الذي استفاد منه الانتقالي الجنوبي في طرد الحوثيين من عدن وتأمين نفوذه فيها وفي مناطق جنوبية أخرى، يتحرك اليوم بالحزم نفسه لمنع انفصال الجنوب وتوسيع نفوذ الانتقالي، تمامًا كما تحرك سابقًا لمنع تمدد الحوثيين خلال الحرب.

ولا شك أن قيادات المجلس وقفت أمام حقيقة أن قرار اجتياح حضرموت والمهرة، ووضع حقول النفط تحت السيطرة باستخدام القوة العسكرية ودون تنسيق مع أي جهة، كان خطوة خاطئة وفي توقيت خاطئ، خاصة بعد رفض الاستجابة لطلبات وفد التحالف العربي بالانسحاب، وإغلاق الباب أمام الحوار، وعدم الاستماع للنصيحة تحت مسوّغ أن الشارع الجنوبي يريد الانفصال. وهو مسوّغ يرفعه الحوثيون والإخوان والحضارمة، وقد يمهد لانفصال المهرة.

والآن، بعد أن بلغ التصعيد مستوى قد لا يمكن السيطرة عليه، ولم يعد هناك متسع لاختبار الصبر السعودي واللعب على الوقت، ليس أمام المجلس الانتقالي خيار سوى التراجع عن الخطوة التي وسّع بها نفوذه. التراجع في هذا التوقيت أفضل من التراجع تحت الضربات العسكرية، أو المكابرة والهروب إلى الأمام، وجرّ محافظات الجنوب إلى معارك لا مصلحة لها فيها. خسارة سياسية محدودة أفضل من خسارة سياسية وعسكرية وزيادة معاناة الجنوبيين.

في الحروب لا يمكن التعامل مع الأمر بمنطق المشروعية الشعبية وكرامة القيادات وإطلاق الشعارات وتحميس الشارع. الأمر يُقاس بالمصلحة: ماذا سيكسب الجنوبيون وماذا سيخسرون؟ وهو ما يجعل التراجع عن مغامرة المجلس الانتقالي العسكرية الأخيرة بمثابة نصف انتصار، لأنه سيحفظ بقاء كيانه وقياداته، وخاصة الإقرار له بالنفوذ في عدن والمحافظات التي يتمركز فيها قبل مغامرة الهجوم على حضرموت ومأرب بداية ديسمبر الجاري. والأهم أنه يحفظ لنفسه البقاء عنصرًا فاعلًا ضمن مكونات الشرعية اليمنية، ويتمتع بمزايا كثيرة، ويجعل التحالف العربي يتعامل معه كشريك قوي بدلًا من أن يكون طرفًا معزولًا أو محاصرًا.

وما يجعل التراجع عن المغامرة العسكرية أمرًا ضروريًا أن دول الإقليم المعنية بالصراع رفضت هذه الخطوة وتمسكت بوحدة اليمن ومعارضة تفكيكه، وهو ما عبّرت عنه السعودية أولًا، ثم سلطنة عمان، ثم الإمارات التي أعلنت ترحيبها بالجهود السعودية لدعم الاستقرار في اليمن، وكذلك مصر التي جدّدت موقفها الداعم للشرعية في اليمن، وحرصها الكامل على وحدة اليمن وسيادته وسلامة أراضيه.

وبالنتيجة، وأيًا كانت مشروعية خيار الانفصال والدعم الشعبي له، فإن المجلس الانتقالي سيجد نفسه وحيدًا في مواجهة موقف إقليمي ودولي مناوئ لخيار تفكيك اليمن، ما يجعل الأولوية الآن هي تأمين التراجع عن هذا القرار عبر إعلان الاستعداد للحوار مع التحالف العربي ومع الحكومة اليمنية، للتوصل إلى تفاهمات لحل المعضلات التي دفعت المجلس إلى خيار الانفصال، ومنها زيادة الاهتمام الحكومي بمحافظات الجنوب، وخاصة عدن، التي تعيش وضعًا اقتصاديًا واجتماعيًا صعبًا جدًا، ما دفع السكان إلى التظاهر احتجاجًا على غياب مقومات أساسية، من ذلك أزمة الكهرباء وغلاء المعيشة.

هناك أيضًا ضرورة لتفعيل اتفاق الرياض بمستوياته المختلفة، وعدم التوقف عند توزيع الوظائف الكبرى في الأجسام السياسية والأمنية والعسكرية، وتحويله إلى مدونة شراكة سياسية فعلية، تُحوّل الحكومة الجامعة لمختلف الأطياف إلى كيان فعّال على الأرض، وليس مجرد واجهة للامتيازات والوجاهة، والاكتفاء بانتظار ما تقوم به السعودية لحل عناصر الخلاف بين مكونات "الشرعية".

ما يجعل التراجع عن المغامرة العسكرية أمرًا ضروريًا أن دول الإقليم المعنية بالصراع رفضت هذه الخطوة وتمسكت بوحدة اليمن، وهو ما عبّرت عنه السعودية أولًا ثم سلطنة عمان ثم الإمارات

المؤسسات التي تشكلت عليها أن تتصدى بنفسها لحل العناصر الخلافية، وأن تشرف على الحوار اليمني – اليمني، وتظهر لليمنيين في صورة مؤسسات حقيقية.

إن استمراء "الشرعية" لعبة التخفي وراء الدور السعودي هو أحد أسباب عودة النزعة القبلية والمناطقية إلى الواجهة، حيث باتت كل محافظة تبحث عن مصالحها بالاعتماد على الذات، وتشكيل قوة محلية للدفاع عن مصالح منتسبيها، في غياب كلي للحكومة أو تفويض دورها لأطراف مثيرة للشك والمخاوف لدى الكثير من اليمنيين. كما أن غياب التأثير الحكومي وعدم التحرك للجم التحركات المناطقية، مثل تحرك حلف قبائل حضرموت، شجّع الانتقالي الجنوبي على مغامرته العسكرية.

إذا مرّ الانتقالي إلى الانفصال بالقوة، فهل ستحل هذه المشاكل؟ خاصة أن الطرف الرئيسي الذي يتولى الدعم هو السعودية عبر منح مستمرة لحل المشكلات، وقد تدخلت في أكثر من مرة في هذا السياق. وإذا كان المجلس يراهن على النفط في حل هذه المشكلات، فإن الأمر ليس مضمونًا، خاصة إذا تم دون توافق وعلى حساب أطراف أخرى سياسية وقبلية، ما يفتح الباب أمام مئة طريقة وطريقة لعرقلة الإنتاج وتصديره والاستفادة منه في بناء "دولة الجنوب".

إن قبول الانتقالي الجنوبي بالاستماع إلى نداءات العقل ونصائح الأصدقاء والشركاء اليمنيين والإقليميين هو الطريقة الأسلم، وهي تُظهره كطرف براغماتي يضع مصلحته قبل أي خيار آخر. والتراجع خطوة أفضل ألف مرة من مغامرة غير محسوبة. ولا شك أن الظهير الشعبي الذي دعمه في مغامرة توسيع النفوذ سيساند خطوة التراجع، بعد أن بان بالكاشف أنها كانت مبنية على قراءة خاطئة مفادها أن السعودية لن تتحرك ولن تستعمل القوة، وأن الانفصال سيصبح مع الوقت أمرًا واقعًا في ظل ضعف بقية المكونات ومحدودية تسليحها، بما في ذلك الطرف الحكومي.

لا أحد في الإقليم من مصلحته فتح بؤرة جديدة للصراع في اليمن. وسيجد خيار الحوار، فيما لو قبل به الانتقالي الجنوبي، دعمًا كبيرًا من دول الإقليم، بما في ذلك السعودية التي تعمل على توسيع دائرة الحوار في اليمن لتشمل الحوثيين، وبناء توافقات ملزمة للجميع برعاية دولية.

ومن المهم أن يقرأ الانتقالي الجنوبي بشكل إيجابي نصيحة الإمارات التي جاءت على لسان أنور بن محمد قرقاش، المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات، السبت، حين دعا إلى تغليب الحوار وابتكار المخارج السياسية في هذه المرحلة الحرجة. وهي رسالة لا تخص الانتقالي الجنوبي وحده، بل تطال بقية مكونات اليمن والإقليم.

وقال قرقاش في تغريدة على منصة إكس "في هذه المرحلة الحرجة، التي مررنا بمثلها من قبل وسنواجهها مستقبلًا، لا بد من تغليب الحوار وابتكار المخارج السياسية، وحفظ الصداقات والتحالفات وتعزيزها، وعدم قطع حبال التواصل والمودة".

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

حكّاء نسج من خيوط الواقع أساطير إنسانية

داود عبدالسيد

المخرج الذي أبصر ما لم يبصره الآخرون

علي قاسم
كاتب سوري

برحيل داود عبدالسيد في ديسمبر 2025، فقدت السينما العربية صوتا كان يشبه الهمس العميق في زمن ساد فيه الضجيج وعلت الأصوات. لم يكن مجرد مخرج، بل كان حكاءً بصريا ينسج من خيوط الواقع اليومي أساطير إنسانية، وفيلسوفا يطرح أسئلة الوجود بلغة الكادر والإضاءة، وشاعرا يرى في تفاصيل الحياة العادية قصائد بصرية تنتظر من يلتقطها.

لقد اختار عبدالسيد منذ البداية أن يكون فنان الهامش، صانع أسئلة لا مبتكر أجوبة. لم يهتم بالأضواء الكاشفة ولا بالشخصيات البطولية، بل انحاز إلى أولئك الذين يعيشون في الظل، إلى البسطاء الذين تحكي وجوههم قصصاً لا تحتاج إلى حوار، إلى الشوارع الجانبية التي تخفي في زواياها أسرار المدينة الكبيرة. كان يؤمن بأن العظمة تكمن في التفاصيل الصغيرة، وأن الفلسفة الحقيقية تختفي في الحياة اليومية العادية.

الكيت كات

في عام 1991 قدم داود عبدالسيد للعالم تحفته الخالدة "الكيت كات"، المأخوذة عن رواية "مالك الحزين" لإبراهيم أصلان. لكن الفيلم لم يكن مجرد اقتباس سينمائي تقليدي، بل كان إعادة خلق سحرية، حيث تفوقت السينما على الأدب في تصوير عالم الرواية. لقد حول عبدالسيد النص الأدبي إلى تجربة بصرية تشبه الحلم اليقظ، حيث تختلط الواقعية بالسريالية، والضحك بالدموع، والعجز بالقوة.

شخصية الشيخ حسني، التي جسدها الراحل محمود عبدالعزيز ببراعة نادرة، أصبحت أيقونة ثقافية تتجاوز الفيلم نفسه. رجل كفيف يعيش في حي إمبابة الشعبي، لا يملك سوى حانة الكيت كات الصغيرة ومشروباتها الدافئة وزبائنها المتنوعين. لكن هذا الرجل الكفيف يرى بعين البصيرة ما لا يراه المبصرون، ويضحك على قسوة الحياة حتى لا تبكي عليه.

> سينما عبدالسيد تحترم عقل المشاهد وقلبه في آن واحد، تبحث عن الجمال في القبيح، وعن العمق في السطحي

رحل الرجل الذي جعل من السينما فنا جادا بلا تعال، عميقا بلا غموض مصطنع، إنسانيا بلا عاطفية رخيصة.

صانع الأسئلة

وُلد داود عبدالسيد في القاهرة عام 1946، في حقبة كانت مصر تعيش فيها تحولات كبرى على جميع المستويات. تخرّج من المعهد العالي للسينما عام 1967، عام الهزيمة والانكسار، وكأن قدره أن يولد فنانا في زمن الأسئلة الصعبة.

بدأ مسيرته كمساعد مخرج مع عملاقين: يوسف شاهين في فيلم "الأرض"، وكمال الشيخ في "الرجل الذي فقد ظله". لكنه سرعان ما أدرك أنه لا يريد أن يكون ظلا لأحد، ولا تابعا في مدرسة فنية جاهزة. كان يبحث عن صوته الخاص، عن بصمته المميزة، عن طريق ثالث بين الواقعية الاجتماعية لشاهين والتشويق النفسي لكمال الشيخ.

يركب الشيخ حسني "حصان خياله" كما قال في أحد مشاهد الفيلم الخالدة، ليهرب من واقع مرير إلى عالم من الخيال المشرق. في هذا التحول من العجز إلى القدرة، من اليأس إلى الأمل، من الكفاف إلى الخيال، يكمن جوهر فلسفة عبدالسيد: الإنسان قادر على صناعة معناه حتى في أحلك الظروف.

الزميل الناقد حكيم مرزوقي (رحل قبل عامين) كتب قبل خمس سنوات شهادة نقدية ثرية عن الفيلم قال فيها "'الكيت كات' قصيدة من أجمل ما خطت السينما المصرية... مجتمع يدّعي الانفتاح إلى درجة الانغلاق، وكفيف يبصر أكثر من جميع المبصرين، وبصيرة سينمائية تلامس الإعجاز".

وأضاف مرزوقي بحق أن الفيلم تفوق على الرواية الأصلية، وأن أداء محمود عبدالعزيز كان "معجزًا إلى حد الإذهال". هذه القراءة النقدية العميقة تضع الفيلم في مكانته الحقيقية: ليس عملا ترفيهيا عابرا، بل حدث ثقافي استثنائي، وعلامة فارقة في تاريخ السينما العربية.

لكن مكانة "الكيت كات" لم تقتصر على النقاد والمتخصصين، بل تجاوزت ذلك إلى الذاكرة الشعبية الجماعية. فكيف لا يكون كذلك وهو الفيلم الذي يلتقط روح مرحلة بأكملها، روح تسعينات القرن الماضي بكل تناقضاتها: الانفتاح الاقتصادي المصحوب بانغلاق اجتماعي، والحديث عن الديمقراطية مع استمرار القبضة الأمنية، والرغبة في التغيير مع الخوف من المجهول. لقد كان الشيخ حسني هو صوت تلك المرحلة المضطربة، الضاحك على ألمه، المبصر رغم عماه.

وما يعطي لشهادة الناقد حكيم مرزوقي وزنا أكبر هو أنها تتوافق مع رأي سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، التي قالت في حوار صحفي عام 1991 إن داود عبدالسيد هو "أخطر مخرج بين أبناء جيله". كلمة "أخطر" هنا تحمل دلالات عميقة: الخطر على المألوف، على السائد، على السطحية. إنها إشادة من فنانة عظيمة عرفت معنى التجديد وأدركت قيمة الأصالة، لزميل يختلف عنها في الأسلوب لكنه يلتقي معها في الهدف: صناعة سينما جديرة باسم الفن.

أعمال مؤثرة

رغم أن "الكيت كات" يظل التحفة الأبرز في مشوار عبدالسيد، إلا أن أعماله الأخرى تشكل معا فسيفساء مكتملة لرؤيته الفنية والفلسفية. ففيلم "أرض الخوف" (1999) يقدم لنا رحلة داخل النفس البشرية، حيث يتحول رجل الشرطة إلى تاجر مخدرات، ليس بحثا عن الثراء بل بحثا عن ذاته، عن هويته الضائعة في زمن الازدواجية الأخلاقية. إنه فيلم عن الخوف الوجودي الذي يعيشه الإنسان المعاصر، الخوف من فقدان المعنى في عالم أصبحت فيه القيم نسبية والهويات هشة.

> برحيل داود عبدالسيد مؤخرا ندرك أننا لم نفقده فحسب، بل فقدنا معه نوعا من السينما أصبح نادرا في زمننا

أما "مواطن ومخبر وحرامي" (2001) فهو مرآة سوداوية لمجتمع يعيش تناقضاته بلا حلول. الفيلم الذي يبدو كوميديا سوداء على السطح، يحمل في أعماقه نقدا لاذعا لعلاقة الفرد بالسلطة، للمواطن بالدولة، للإنسان بمجتمعه. إنه فيلم عن الازدواجية التي أصبحت نمط حياة، عن التناقض بين المظهر والجوهر، بين القول والفعل.

و"رسائل البحر" (2010) يمثل مرحلة النضج في تجربة عبدالسيد، حيث يقدم عملا رومانسيا فلسفيا عن العزلة والهوية والحب. الفيلم الذي يدور في الإسكندرية، مدينة الذكريات والأحلام، يبحث عن معنى الانتماء في عالم أصبح القرية العالمية شعارا يخفي وراءه اغترابا عميقا. إنه قصيدة بصرية عن الحنين إلى الماضي والخوف من المستقبل، عن البحث عن الجذور في زمن العولمة الجارف.

هذه الأعمال مجتمعة تثبت أن داود عبدالسيد كان فنانا لا يعرف التكرار، ولا يقبل بالتصنيفات الجاهزة. كان واقعيا لكنه لم يكن سجين الواقع، كان شاعرا لكنه لم يهرب إلى الخيال المجرد، كان فيلسوفا لكنه تحدث بلغة الشارع. لقد ابتكر لنفسه مساحة فريدة بين كل هذه التيارات، مساحة سماها النقاد "الواقعية الشعرية" أو "الواقعية الفلسفية".

وعلى المستوى العالمي، حظيت أعمال عبدالسيد بتقدير نقدي لافت، حيث نالت جوائز في مهرجانات عربية ودولية، وتمت دراستها في أقسام السينما في جامعات عالمية. لكن الأهم من الجوائز هو ذلك التأثير الخفي الذي تركه على جيل كامل من المخرجين العرب الذين تعلموا منه أن السينما يمكن أن تكون فنا راقيا دون أن تفقد جمهورها، وأنها يمكن أن تطرح أسئلة وجودية دون أن تكون مثقلة أو مملة.

رسالة الفنان الخالد

برحيل داود عبدالسيد في ديسمبر 2025، ندرك أننا لم نفقده فحسب، بل فقدنا معه نوعا من السينما أصبح نادرا في زمننا: السينما التي تحترم عقل المشاهد وقلبه في آن واحد، السينما التي تبحث عن الجمال في القبيح، عن العمق في السطحي، عن الإنساني في اليومي. رحل الرجل لكنه ترك إرثا سينمائيا سيظل حيا طالما ظل هناك أناس يؤمنون بأن الفن ليس ترفا بل ضرورة، وليس هروبا من الواقع بل طريقة أعمق لفهمه.

أفلامه تطرح أسئلة وجودية دون ثقل وملل

«الكيت كات» فيلم خالد في الذاكرة الشعبية

> مخرج جعل من الكاميرا قلم شاعر، ومن الشاشة صفحة فلسفية، ومن ظلام دور السينما منبرا للأسئلة الكبرى

وتذكرنا هذه الخسارة الفادحة بفقدان آخرين ارتبطوا بـ"الكيت كات": إبراهيم أصلان صاحب الرواية الأصلية الذي رحل عام 2012، ومحمود عبدالعزيز بطل الفيلم الخالد الذي رحل عام 2016. وكما كتب حكيم مرزوقي في شهادته "لا يمكن أن ننسى 'الكيت كات' حتى وإن نسينا مالك الحزين... محمود عبدالعزيز الذي أضحك وأبكى ثم مات فخلّد". إنها دورة الحياة والموت والإبداع: يموت المبدعون لكن إبداعهم يخلدهم، يرحل الأجساد لكن تبقى الأعمال شاهدة على عبقرية من صنعوها.

في النهاية، يبقى داود عبدالسيد في ذاكرتنا كمخرج جعل من الكاميرا قلم شاعر، ومن الشاشة صفحة فلسفية، ومن ظلام دور السينما منبرا للأسئلة الكبرى. رحل وهو يعلم أن الفنان الحقيقي لا يموت، لأن فنه هو بصمته الخالدة في تاريخ الإبداع. وكما جعل الشيخ حسني الكفيف في "الكيت كات" يبصر أكثر من المبصرين، جعلنا داود عبدالسيد نرى في السينما ما لم نكن نراه، ونشعر بما لم نكن نشعر به، ونفكر في ما كنا نتجنب التفكير فيه. هذه هي هبة الفن العظيم، وهذه هي رسالة الفنان الخالد.

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

«كازابلانكا / دكار».. حين تروض عدسة المخرج هشاشة الورق

أحمد بولان يراهن على سحر الإخراج والأداء لعبور مأزق السيناريو

في فيلمه الجديد "كازابلانكا / دكار"، يخوض المخرج أحمد بولان تحديا سينمائيا من نوع خاص، حيث يواجه فكرة درامية هشة تدور حول تداعيات زمن كورونا، محاولا إنقاذها بخبرة السنين. وبينما تبدو الرحلة من السنغال إلى المغرب مكشوفة النهايات منذ دقائقها الأولى، يبرز السؤال الجوهري: كيف استطاع بولان تحويل التبسيط الدرامي إلى تجربة متماسكة؟

رحلة غير متماسكة دراميا

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

عرض المخرج المغربي أحمد بولان فيلمه الجديد "كازابلانكا / دكار" بسينما الريف بالدار البيضاء، في أول خروج له في القاعات السينمائية، مستعيدا من خلاله زمن جائحة كورونا وما رافقه من قيود على التنقل والعلاقات الإنسانية، بينما يختار العمل تتبع رحلة مهندس معماري من دكار إلى الدار البيضاء في ظرف استثنائي، محاولاً الجمع بين البعد الإنساني والبعد الرمزي للجائحة، غير أن هذا الاختيار يفتح باباً واسعاً للنقاش النقدي حول متانة الفكرة وحدودها السينمائية.

يمتد الفيلم حوالي 90 دقيقة، ويؤدي بطولته كل من أنس الباز إلى جانب زينب الأندلسي. تنكشف هشاشة فكرة السيناريو في فيلم "كازابلانكا / دكار" منذ الدقائق الأولى، إذ يدرك المتفرج باكراً المسار الذي ستؤول إليه الأحداث، ويكاد يستنتج النهاية قبل بلوغ منتصف الفيلم. حينها يقوم البناء الدرامي على هدف واحد واضح ومباشر، هو وصول البطل إلى زوجته قبل الولادة، دون أن تحيط به تحولات كبرى أو مفاجآت سردية حقيقية. وهذا التبسيط المفرط للفكرة يجعل الفيلم يفقد عنصر الترقب، ويحوّل الرحلة إلى مسار متوقع أكثر من كونها تجربة مفتوحة على الاحتمالات، وهنا لا يخدم زمن الجائحة إلا كذريعة سردية، لا كرافعة درامية عميقة.

يضع الفيلم نفسه ضمن نوع سينمائي تم استهلاكه بكثرة، سواء في السينما العالمية أو العربية، وهو سينما الرحلة المرتبطة بالحدود، والهجرة، والقيود السياسية أو الصحية. وسبق للسينما أن تناولت موضوع التنقل القسري والعبور غير القانوني في سياقات أكثر تعقيداً وغنىً على مستوى الصراع، بينما لا يطرح سيناريو فيلم "كازابلانكا / دكار" إضافة نوعية على مستوى الفكرة، بقدر ما يعيد تدوير ثيمات مألوفة، وهذا يجعل الإحساس بالجِدّة محدوداً منذ البداية.

ويُحسب للمخرج والممثل أحمد بولان وعيه المهني بحدود نصه، وقدرته على الاشتغال عليه سينمائياً لتفادي السقوط في الرتابة، لأن المخرج لا يترك الفيلم ينهار تحت وطأة بساطة السيناريو، وإنما يعوّض ذلك بحرفة إخراجية واضحة، سواء في إدارة الإيقاع أو في التحكم في الفضاءات المفتوحة، إذ تظهر تجربة بولان الطويلة في التعامل مع النصوص الصعبة أو الناقصة، وتحويلها إلى مادة قابلة للمشاهدة.

ويبرز ذكاء الفيلم أساسا في طريقة اشتغاله على البنية الثلاثية: البداية، المنتصف، والنهاية، حينما يحرص المخرج على خلق توازن شكلي يمنع الانكسار الكامل للإيقاع. لأنه لا يعتمد على التصعيد الدرامي التقليدي، وإنما على تراكم الإحساس بالضغط النفسي، ولو أن هذا التراكم لا يبلغ دائماً مستوى الإقناع، لكن يظل هناك وعي واضح بكيفية الانتقال بين المحطات السردية دون فوضى أو تشويش بصري.

يُحسب للمخرج والممثل أحمد بولان وعيه المهني بحدود نصه، وقدرته على الاشتغال عليه سينمائياً لتفادي السقوط في الرتابة

ويشكل أداء أنس الباز أحد أهم عناصر قوة الفيلم، كونه العمود الفقري الذي يستند إليه العمل بأكمله، إذ ينجح الباز في منح الشخصية حضوراً إنسانياً مقنعاً، ويُحمّل جسده ونبرته توتر الرحلة وقلق الانتظار والخوف من الفشل، وهذا الأداء المتماسك يخلق تعاطفاً حقيقياً مع الشخصية، ويمنح الفيلم جرعة من الصدق افتقدها السيناريو على مستوى البناء.

وتُبرز عقدة فيلم "كازابلانكا / دكار" محدوديتها منذ لحظة تشكّلها الأولى، إذ لا تنجح في التحول إلى محرّك فعلي للسرد ولا إلى بؤرة توتر قادرة على رفع إيقاع الأحداث أو تعميق الصراع الدرامي، إذ تقوم العقدة على هدف واضح وبسيط، يتمثل في وصول البطل إلى زوجته قبل الولادة، غير أنها تُترك عارية من التعقيدات والتحولات، فلا تُغذّى بأحداث مشوقة ولا تُدعّم بمنعطفات مفاجئة تُربك المسار أو تعيد ترتيب رهانات الشخصية.

نتيجة لذلك، يتحول مسار الفيلم إلى خط مستقيم، يُستنزف زمنياً دون تصعيد، فتفقد المشاهد كثافتها وتغدو الرحلة مجرد تتابع لمحطات متشابهة لا تُنتج توتراً حقيقياً، بينما هذا الفقر في إثراء العقدة بالأحداث جعل الإيقاع ينخفض تدريجياً، خصوصاً في منتصف الفيلم، إذ يتراجع الإحساس بالخطر والاستعجال، ويحل محله شعور بالتمطيط والانتظار. وهكذا، تحولت عقدة البناء الدرامي إلى عبء سردي كشف حدود الفكرة الأصلية، وأكد أن غياب التشويق يعود إلى كتابة لم تمنح الصراع ما يكفي من العمق والتنوع.

وتعاني رحلة البطل من دكار إلى الدار البيضاء من فراغ درامي واضح، إذ لا تتضمن أحداثاً قوية أو عقداً حقيقية ترفع منسوب التوتر، وتمر المحطات تباعاً دون أن تُحدث انعطافات حاسمة في المسار النفسي أو السردي للشخصية، وتتحول الرحلة التي كان يُفترض أن تكون قلب الفيلم النابض، إلى مساحة مكرورة لا تضيف الكثير سوى إطالة زمن الحكي.

ويرتبط هذا الضعف أساسا بفقر الفكرة الأصلية، التي لم تسمح بتوليد صراعات متعددة أو شخصيات مؤثرة في المسار العام، حيث تظهر بعض الشخصيات الثانوية ثم تختفي دون أثر درامي حقيقي، وهذا يجعل وجودها أقرب إلى وظائف عابرة منه إلى عناصر بنائية، بينما يُطرح سؤال الكتابة أكثر من سؤال الإخراج؛ لأن الصورة وحدها لا تستطيع تعويض غياب العمق الدرامي.

يفضل المخرج الاشتغال على صورة وظيفية تخدم الحالة النفسية للشخصية برسالة مقتضبة، غير أن هذا الخيار، وإن كان منسجما مع رؤيته، يظل محدود الأثر بسبب غياب لحظات سينمائية قوية، وبينما يظل الفيلم متوازناً شكلياً، لكنه نادراً ما يبلغ لحظة سينمائية صادمة أو استثنائية.

ويمكن اعتبار "كازابلانكا / دكار" فيلماً أنقذته الحرفة أكثر مما خدمته الفكرة؛ عمل يكشف مرة أخرى أن الإخراج الجيد قادر على تحويل فكرة هشة إلى تجربة مشاهدة محترمة، دون أن يمنحها بالضرورة عمقاً أو فرادة، فهو فيلم يُشاهد بسلاسة، ويُنسى بسرعة، لكنه يؤكد في الوقت ذاته أن أحمد بولان ما زال مخرجاً يعرف جيداً كيف يسيطر على أدواته، حتى حين يخذله السيناريو.

ويعتبر المسار المهني لأحمد بولان تجربة سينمائية استثنائية تشكّلت عبر تراكم طويل بين التلفزيون المغربي، والإقامة في إيطاليا، ثم العودة إلى المغرب، حيث اشتغل لأكثر من خمسة وعشرين عاماً في مختلف مفاصل الصناعة السينمائية، من التمثيل إلى إدارة الممثلين، ومن المساعدة في الإخراج إلى الاحتكاك المباشر بكبار صناع السينما العالمية، أمثال جوليانو مونتالدو، وكارلو دي بالما، وآلان ج. باكولا، وفيليب دي بروكا، وجان ديلانوي، وجون لانديس، وهو ما منح تجربته عمقا تقنيا وثقافيا نادرا في السينما المغربية.

ويعد دخوله الإخراج حدثا صادما، إذ شكّل فيلمه القصير الأول "رحلة في الماضي" لحظة مفصلية بحصوله على جائزة الفاتيكان، فاتحاً له باب الفيلم الروائي الطويل. غير أن مسيرته لم تكن سلسة، حينما وُوجه فيلمه الأول "علي وربيعة وآخرون" بالإقصاء الغامض من القاعات بعد أيام قليلة من عرضه، رغم ما حققه من إشعاع دولي واعتراف نقدي، ليجد نفسه مبكراً في قلب صدام مع المؤسسة والتلقي.

وواصل بولان اختياره للمواضيع الشائكة، فاقتحم في "ملائكة الشيطان" واحدة من أكثر القضايا حساسية في الذاكرة المغربية المعاصرة، متحملاً صعوبات إنتاجية خانقة، قبل أن يحقق الفيلم نجاحاً جماهيرياً غير مسبوق ويتصدر شباك التذاكر سنة 2007، في مفارقة لافتة بين المنع والنجاح.

لاحقا، جاء فيلماه "عودة الابن" و"ليلى جزيرة" ليؤكدا انشغاله الدائم بالأسئلة الإنسانية والهوية والذاكرة، فيما توّج مساره بإصدار سيرته الذاتية "حياتي جميلة"، التي أعادت قراءة طفولته ومراهقته بوعي تأملي، قبل أن يُكرّس حضوره القاري بترشيحه لرئاسة لجنة التحكيم الكبرى لجوائز الفيلم الذهبي في أفريقيا، بوصفه اسماً راكم تجربة غنية بالصدام، والمغامرة، والاختيار الواعي للسينما كمسار وجودي.

البصرة تفقد إزميلها في برلين.. رحيل «سادن البرونز» العراقي مكي حسين

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

بغداد - نعى الوسط الثقافي والتشكيلي العراقي، ببالغ الأسى، رحيل النحات العراقي البارز مكي حسين، الذي وافاه الأجل في مقر إقامته بألمانيا. وبرحيله تنطوي صفحة مضيئة من تاريخ النحت العراقي المعاصر، حيث غادرنا الفنان الذي حمل تراب البصرة في روحه وصاغه برونزا وشكلا في بلاد الاغتراب.

في لحظة فارقة ومؤلمة من تاريخ التشكيل العراقي، تلقت الأوساط الفنية نبأ رحيله في ألمانيا، البلاد التي احتضنت موهبته منذ عام 1979.

وبرحيله يفقد العراق واحدا من جيل العمالقة الذين صاغوا بوعيهم الفني ملامح الحداثة النحتية، محولين الغربة إلى مختبر جمالي لترسيخ الهوية الوطنية.

ولد الراحل في قلب البصرة عام 1947، تلك المدينة التي منحت مخيلته فيضاً من الحكايات والظلال. تخرج في معهد الفنون الجميلة ببغداد عام 1967، ليبدأ مسيرة حافلة بالعطاء، شارك خلالها في أهم معارض وزارة الثقافة ونقابة الفنانين وجمعية التشكيليين العراقيين، وكان حاضرا حضوراً فاعلاً في المشهد التشكيلي حتى قرر الاغتراب عام 1979 متوجهاً إلى ألمانيا، ليواصل هناك رحلة إثبات الذات الفنية العراقية في المحافل الدولية.

لا يمكن قراءة تجربة مكي حسين بمعزل عن التحولات الكبرى التي شهدها الفن العراقي في ستينات وسبعينات القرن الماضي، إن انتماءه إلى "جماعة الرؤيا الجديدة" لم يكن مجرد انضمام تنظيمي، بل كان انحيازا جماليا لخطاب يمزج بين الحداثة العالمية والهوية المحلية، وهو الخطاب الذي حاول مكي حسين ترسيخه عبر تطويع الخامة وتحويلها إلى كائن يتنفس.

كان مكي حسين أحد الأعمدة الذين ساهموا في تأسيس "مصهر بغداد"، وهذه المحطة ليست تقنية فحسب، بل هي جوهرية في فهم فلسفته؛ فالتعامل مع المعادن المنصهرة يتطلب صبراً جميلاً، وقدرة على تطويع "النار" لتتحول إلى "نور" في هيئة تمثال. لقد نجح مكي في نقل تقنيات الصهر العراقية العريقة إلى فضاءات معاصرة، جاعلاً من السطح البرونزي مساحة غنية بالملمس الذي يوحي بالقدم والرسوخ.

في أعماله ثمة حوار دائم بين "الكتلة" و"الفراغ"، فمنذ بداياته في البصرة تأثر مكي بالبيئة المائية والنخيل والظلال الممتدة، وهو ما انعكس على استطالة شخوصه ومنحوتاته. إن فن مكي حسين لا يبحث عن المحاكاة الفوتوغرافية للواقع، بل يبحث عن "الجوهر التعبيري"، وشخوصه غالباً ما تبدو في حالة انتظار أو تأمل، وكأنها تحمل ثقل التاريخ العراقي على أكتافها.

بعد انتقاله إلى ألمانيا عام 1979، لم يذب مكي في الفن الغربي تماما بل استثمر الدقة الألمانية في التنفيذ ليصقل هويته العراقية؛ فصار إزميله أكثر حدة، ورؤيته أكثر اختزالاً. تحولت المنحوتة عنده إلى رمز، حيث تخلص من الزوائد التزيينية ليركز على قوة الحركة وتوازن الكتلة.

بصفته عضواً في جماعة الرؤيا الجديدة، كان مكي يؤمن بأن الفن وسيلة للتغيير وليس مجرد ترف. تظهر في أعماله مسحة من الحزن النبيل، وهو حزن يشبه حزن السياب في شعره. المنحوتة عند مكي حسين هي قصيدة بصرية، تروي قصة الاغتراب والبحث عن الجذور. لقد استطاع أن يحول البرونز الصامت إلى صرخة خافتة، تعبر عن ضياع الإنسان في عالم متسارع، مع الحفاظ على مسحة من الأمل تشع من توازن الخطوط وانسيابيتها.

رحل مكي حسين جسداً في ألمانيا، لكنه بقي في تاريخ الفن العراقي كأحد الرموز الشامخة. إن مساهمته في تأسيس "مصهر بغداد"، ونشاطه الدؤوب في الاغتراب، جعلا منه جسراً ثقافياً يربط بين ضفتين. أعماله اليوم هي شهادة على قدرة الفنان العراقي على تطويع المحن وتحويل الغربة إلى طاقة إبداعية خلاقة. لقد كان مكي حسين "نحات الصمت البليغ"، حيث تتكلم الكتلة حين يصمت الجميع.

نظراً لطبيعة أعماله التي توزعت بين العراق وألمانيا، تميزت مسيرته بمجموعة من المحطات الإبداعية:

منحوتات البرونز (المجموعة البغدادية): تميزت بالتصاقها بالأرض والواقع العراقي، حيث ركز على الشخصيات الكادحة والرموز الشعبية.

أعمال "جماعة الرؤيا الجديدة": وهي الأعمال التي عرضت في سبعينات القرن الماضي، واتسمت بالتمرد على الأشكال التقليدية والبحث عن "رؤية" فلسفية أعمق للمادة.

النصب الميدانية في ألمانيا: أنجز الراحل عدة أعمال ونصب في الفضاءات العامة بمدن ألمانية، ركز فيها على حوار الحضارات والتجريد التعبيري.

تكوينات "مصهر بغداد": وهي القطع التي كانت نتاجاً لتأسيسه المصهر، حيث برع في تقنيات صب البرونز بأساليب مبتكرة تمزج بين الخشونة والنعومة.

وعند تأمل منجزه الفني، نجد أننا أمام تجربة "نحتية/ فلسفية" بامتياز. لقد استطاع مكي أن ينقل "الروح العراقية" من المحلية الضيقة إلى العالمية الرحبة. في منحوتاته تظهر الكتلة رصينة ومحملة بالرموز التاريخية (السومرية والآشورية)، لكنها في الوقت ذاته تتحاور مع الفراغ بأسلوب حداثوي تأثر ببيئته الألمانية المتأخرة.

تتسم أعماله بـ"الاختزال التعبيري"، فهو لا يرهق المنحوتة بالتفاصيل، بل يمنحها حرية الحركة والانسياب. إن استخدامه للبرونز تحديدا يعكس رغبته في منح أعماله صفة "الخلود"؛ فالبرونز عند مكي حسين هو مرادف للصمود في وجه الزمن والاغتراب.

رحل مكي حسين وبقي صدى إزميله يتردد في قاعات العرض البغدادية والبرلينية على حد سواء. إن تجربته تظل درسا في كيفية حفاظ الفنان على جذوره البصراوية رغم عقود الغربة، وكيف يمكن للنحت أن يكون لغة إنسانية عابرة للحدود. وداعا مكي حسين، نم قرير العين، فمنحوتاتك ستبقى تحرس ذاكرة الوطن وتؤرخ لشموخ المبدع العراقي.

نحات الصمت البليغ

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

خبراء يقيمون مدونة الأسرة المغربية بين النص والتطبيق

إكراهات اجتماعية تحد من فعالية ما راكمته المدونة من تشريعات

تدارس أساتذة جامعيون وفاعلون حقوقيون مدى ملاءمة النصوص التشريعية في مدونة الأسرة لتطبيقها على أرض الواقع، وتهدف مضامين مراجعة مدونة الأسرة إلى تجاوز بعض النقائص والاختلالات التي ظهرت عند تطبيقها القضائي، ومواءمة مقتضياتها مع تطور المجتمع المغربي وديناميته. وفي إطار مراجعة مدونة الأسرة، وافق المجلس العلمي الأعلى على مجموعة من التعديلات المقترحة، أبرزها ما يتعلق بالزواج والحضانة والميراث.

مدونة الأسرة ضبطت العلاقات بين الزوجين

الرباط - تتمتع مدونة الأسرة بأهمية بالغة في تنظيم العلاقات الأسرية وتوفير الحماية القانونية لجميع أفراد الأسرة، وبالتالي فالحاجة إلى تقييم وتعديل بعض أحكامها ظلت محوراً رئيسياً في النقاش القانوني والاجتماعي الحالي.

ومواكبة للنقاش المجتمعي حول قضايا الأسرة، تدارس أساتذة جامعيون وفاعلون حقوقيون مدى ملاءمة النصوص التشريعية في مدونة الأسرة لتطبيقها على أرض الواقع.

وأكدت حكيمة فصلي، أستاذة الاقتصاد بالكلية، على الدور الحيوي الذي تضطلع به الجامعة في تأطير النقاش المجتمعي حول قضايا الأسرة، معتبرة أن الفضاء الأكاديمي يشكل رافعة أساسية لمواكبة التحولات القانونية والاجتماعية المرتقبة.

بدورها، قدمت زهيرة فونتير، أستاذة القانون الخاص بكلية الحقوق بالرباط، قراءة في حصيلة مدونة الأسرة بعد أكثر من عقدين على اعتمادها، مبرزة ما راكمته من مكتسبات تشريعية، خاصة في ما يتعلق بالزواج والولاية، مقابل استمرار إكراهات اجتماعية ومؤسساتية تحد من فعاليتها.

وتوقف متدخلون عند عدد من الإشكالات العملية المرتبطة بالتنزيل القضائي للمدونة، حيث أشار الأكاديمي محمد الريوش إلى غياب سياسة أسرية واضحة، داعيا إلى تعزيز التأطير والتكوين، كما أثارت الباحثة إشراق الشبكي إشكالية النسب والأبوة، فيما أبرز الأكاديمي الدكتور مصطفى باسو صعوبات تطبيق المادة 49 وتباين الاجتهادات القضائية بشأن الأموال المكتسبة خلال الزواج.

كما سلط رضوان بيسدوان الضوء على قضايا الإرث في ضوء التوفيق بين الثوابت ومتطلبات التغيير. ويرى الخبراء والأكاديميون أن تعديل قانون الأسرة، يعد من أهم التعديلات التي من شأنها المساهمة في تحقيق التنمية والاستقرار في الدولة، وقد بينت الممارسة الواقعية أن مدونة الأسرة الصادرة سنة 2004 نتجت عنها جملة من المشاكل والإكراهات، أهمها ظاهرة ارتفاع نسب الطلاق بشكل قياسي، ما جعل العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطابه حول مدونة الأسرة، يشدد على أن مدونة الأسرة ليست خاصة بالمرأة ولا بالرجل، بل هي للأسرة بأكملها، مؤكدًا على أهمية التوازن في منح الحقوق لكلا الجنسين ورعاية مصالح الأطفال، وقد أكد الملك أيضا على الضرورة القصوى للالتزام بالتطبيق الصحيح والكامل لمقتضيات القانون، مع مراجعة الأجزاء التي قد تكون قد انحرفت عن أهدافها الأصلية.

> تعديل قانون الأسرة يعد من أهم التعديلات التي من شأنها المساهمة في تحقيق التنمية والاستقرار في الدولة

وفي عام 2023، عينت لجنة لتعديل مدونة الأسرة مكونة من وزير العدل ورئيس النيابة العامة ورئيس المجلس الأعلى للسلطة القضائية، وتم إشراك القطاع الوزاري للأسرة والمجلس العلمي الأعلى والمجلس الوطني لحقوق الإنسان، ما يعني أن تغيير مدونة الأسرة أصبح ضرورة ملحة ولا مفر منها لأن الممارسة التطبيقية أبانت مجموعة من المشاكل، أبرزها كثرة الطلاق وظاهرة زواج القاصرات ومشكلة اقتسام الأموال بعد الزواج وإشكالية النفقة التي أفرزت العديد من النساء المتمكنات ماديا، ورغم أنهن من يطلبن الطلاق دون أسباب معقولة فإنهن يحصلن على النفقة والحضانة.

وفي 23 ديسمبر 2024، وافق المجلس العلمي الأعلى على مجموعة من التعديلات المقترحة في إطار مراجعة مدونة الأسرة، وأبرز هذه التعديلات، تلك المرتبطة بالزواج والخطبة، حيث أصبح توثيق الخِطبة إلزامياً لتجنب النزاعات المتعلقة بالخطوبة. كما تم رفع السن القانونية للزواج إلى 18 سنة، مع السماح بالزواج في سن 17 سنة كاستثناء مشروط بموافقة القاضي وتوفر مبررات قانونية.

وقال عبداللطيف وهبي، وزير العدل، خلال لقاء تواصلي بحضور وزراء ومسؤولين حكوميين ورؤساء هيئات دستورية، إن "من بين ما تم اعتماده جاء تأسيسا على مقترحات الهيئة المكلفة والرأي الشرعي للمجلس العلمي الأعلى، فيما قدمت الهيئة 139 مقترح تعديل، شملت الكتب السبعة للمدونة".

وشدد على أن مضامين مراجعة مدونة الأسرة تهدف إلى تجاوز بعض النقائص والاختلالات التي ظهرت عند تطبيقها القضائي، ومواءمة مقتضياتها مع تطور المجتمع المغربي وديناميته، وما تفرضه متطلبات التنمية المستدامة، وكذلك ملاءمتها مع التطورات التشريعية، بما في ذلك الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب.

وبشأن تعدد الزوجات، قال وهبي إن أبرز التعديلات المقترحة تخص التنصيص على "إجبارية استطلاع رأي الزوجة أثناء توثيق عقد الزواج حول اشتراطها عدم التزوج عليها من عدمه، والتنصيص على ذلك في عقد الزواج. وفي حال اشتراط عدم التزوج عليها، فلا يحق للزوج التعدد وفاء منه بالشرط".

وفي حال غياب هذا الاشتراط، فإن المبرر الموضوعي الاستثنائي للتعدد، سيصبح محصورا في: إصابة الزوجة الأولى بالعقم، أو بمرض مانع من المعاشرة الزوجية، أو حالات أخرى يقدرها القاضي وفق معايير قانونية محددة، تكون في الدرجة نفسها من الموضوعية والاستثنائية.

وفي باب النيابة والحضانة والإرث، نصت أبرز التعديلات المقترحة على جعل النيابة القانونية حقا مشتركا بين الزوجين أثناء العلاقة الزوجية وبعد انفصالها. وفي حال نشوء خلاف حول أعمال النيابة القانونية، يتم الرجوع إلى قاضي الأسرة للبت فيه، وفق ضوابط ومعايير قانونية واضحة.

أما بشأن الحضانة، فقد تم اعتبار الحضانة حقا مشتركا بين الزوجين أثناء العلاقة الزوجية، مع إمكانية تمديد هذا الحق بعد الطلاق إذا اتفق الطرفان.

مقاطع الفيديو القصيرة تضعف قدرة الأطفال على ضبط النفس

واشنطن - يوصي الباحثون الآباء والأمهات بالانتباه سريعا من أجل حماية أطفالهم من مخاطر مقاطع الفيديو القصيرة على الإنترنت لما تسببه من ضرر على الدماغ، بعد أن تحوّلت من مجرد تسلية خفيفة إلى جزء لا يتجزأ من حياة العديد من الشباب والأطفال.

ورغم أن هذه المنصات تُساعد في بناء هوية الأطفال، وإثارة اهتماماتهم، والحفاظ على صداقاتهم، إلا أن تدفق المحتوى يُؤثر سلباً على نومهم، ويُضعف قدرتهم على ضبط النفس، ويُضيّق عليهم وقت التأمل والتفاعل الهادف.

ويشجع تصميم مقاطع الفيديو القصيرة على منصات مثل "تيك توك"، و"إنستغرام"، و"يوتيوب شورتس، على جلسات طويلة من التصفح السريع، وهو ما يصعب على المستخدمين الصغار السيطرة عليه، حيث إن هذه التطبيقات لم تُصمم أبداً مع وضع الأطفال في الاعتبار، على الرغم من أن العديد منهم يستخدمونها يومياً، وغالباً بمفردهم.

وتجذب تلك المنصات مئات الملايين من الشباب والمراهقين والأطفال ممن هم دون سن الثامنة عشرة، ويقضي هؤلاء ساعات طويلة من وقتهم يومياً في مشاهدة هذه المقاطع، وسط تصاعد الجدل بشأن التأثيرات المحتملة لهذه المقاطع على الصحة العقلية.

ويشير الباحثون إلى أن مقاطع الفيديو القصيرة، التي تتراوح مدتها عادة بين 15 و90 ثانية، صُممت لاستغلال رغبة الدماغ في التجديد، فكل تمريرة تعد بشيء مختلف، سواءً كان نكتة أو مقلباً أو صدمة، ويستجيب نظام المكافأة في الدماغ فوراً.

ويقول تقرير موقع "ذا كونفيرسيشن" المتخصص إن مقاطع الفيديو نادراً ما تتوقف، وهو ما يعني اختفاء فترات الراحة الطبيعية التي تساعد على إعادة تركيز الانتباه، ومع مرور الوقت، قد يُضعف ذلك القدرة على ضبط النفس والتركيز المستمر.

ويُشاهد العديد من الأطفال اليوم الشاشات في أوقات ينبغي عليهم فيها الاسترخاء، فيما يقول العلماء إن الضوء الساطع يُؤخر إفراز مادة الميلاتونين، وهو هرمون يُساعد على تنظيم النوم، مما يُصعّب عليهم الخلود إلى النوم.

لكن التقلبات العاطفية الحادة التي تصاحب المحتوى السريع تجعل من الصعب على الدماغ أن يهدأ. وقد وجدت دراسة حديثة أن الإفراط في استخدام مقاطع الفيديو القصيرة يرتبط لدى بعض المراهقين باضطرابات النوم وزيادة القلق الاجتماعي.

وتؤثر اضطرابات النوم هذه على المزاج والقدرة على التحمل والذاكرة، وقد تخلق حلقة مفرغة يصعب على الأطفال الذين يعانون من التوتر أو الضغوط الاجتماعية كسرها، بحسب الدراسة.

وإضافةً إلى النوم، فإن التدفق المستمر لصور الأقران وأنماط الحياة المُنمّقة قد يُفاقم المقارنة، وقد يستوعب الأطفال في سن ما قبل المراهقة معايير غير واقعية للشعبية أو المظهر أو النجاح، وهو ما يرتبط بانخفاض تقدير الذات والقلق، وينطبق الأمر نفسه على جميع أشكال وسائل التواصل الاجتماعي.

تدفق المحتوى يؤثر سلبا على نوم الأطفال

الزواج المبكر يفاقم نسب التسرب المدرسي في صفوف الفتيات العراقيات

بغداد - يشهد العراق تراجعا صادما في قطاع التعليم، حيث بلغت معدّلات التسرّب المدرسي فيه أرقاماً مثيرة للقلق، خصوصاً بين الفئات السكانية الضعيفة التي تشمل الأسر الفقيرة والنازحين والفتيات والمناطق الريفية.

وتواجه الكثير من الفتيات في العراق قيودا اجتماعية أبرزها الزواج المبكر، الذي يؤثر سلبا على إكمال تعليمهن المدرسي والنهوض بمستقبلهن.

وكشفت نتائج حملة عودة المتسربين إلى مقاعد الدراسة أن الزواج المبكر وصعوبات التعلم كانا من بين أسباب التسرب المدرسي بنسبة بلغت 4.8 في المئة، بينما بلغت نسبة تأثير الأصدقاء 14.2 في المئة، في حين استحوذ عدم رغبة الأهل في التعليم على نسبة مهمة أيضا.

وأكد تقرير صادر عن الأمم المتحدة حول ارتفاع نسبة تسرب الفتيات من المدارس، زواج أكثر من مليون فتاة قاصر تحت سن الخامسة عشرة في العراق.

ولم تفاجئ نتائج التقرير المنظمات العاملة في مجال المرأة والناشطات الحقوقيات في البلاد، بل إن بعضهن يرين أن النسبة المذكورة لا تعطي صورة دقيقة عن وضع المرأة في العراق من ناحيتي التسرب من المدارس والزواج المبكر.

وذكر التقرير أن أكثر من نصف المتسربين من الدراسة والذين يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في البلاد، إناث. وأن عدد الذكور المتسربين أقل بكثير. وهناك ربط واضح في التقرير بين التسرب والزواج المبكر، إذ أن أغلب الفتيات اللواتي يتركن الدراسة يتزوجن في سن مبكرة، وهو أحد أهم أسباب ترك الدراسة بعد العامل الاقتصادي.

وترى ناشطات نسويات أن التسرب المبكر للفتيات من المدرسة هو الذي يدفعهن إلى التفكير في الزواج طالما أن حياتهن خلت من أي نشاط دراسي أو معرفي، وهو ما يدفع العائلة في أحيان كثيرة إلى التفكير في تزويج الفتاة في سن مبكرة ليقع بعد ذلك الطلاق المبكر.

وتقول ناشطات إن سجلات المحاكم العراقية تروي قصصاً لم تكن شائعة من قبل. فهناك مراهقات ومراهقون يقدمون إلى المحاكم طلبا للطلاق للمرة الثانية وعندما يسألون عن سبب الطلاق يأتي الجواب من نوع "لم أعد أطيق الحياة معه/ معها والموت أهون". أما إذا سألت عن سبب الزواج المبكر أصلاً فتجيبك الفتاة غالباً "تركت الدراسة فأين أذهب؟ تزوجت".

وترى الناشطات أن الوضع ليس مسكوتاً عنه تماماً في العراق. لكن المشكلة تكمن في تعطيل القوانين النافذة ومنها قانون التعليم الإلزامي الذي يجبر الأهل على تدريس أبنائهم وبناتهم على حد سواء. وكذلك قوانين الأحوال الشخصية التي باتت لا تعمل بالشكل المطلوب فأصبحت العائلات تعقد القران لبناتها خارج المحاكم، ثم تستخدم الحيلة لتصديق عقود الزواج بعد إقامة دعوى قضائية على الزوج تنتهي بقرار القاضي إلزام الزوج بعقد القران داخل المحكمة.

أما الطلاق، وفق الناشطات، فلا قوانين تعيقه والنساء أكثر شجاعة من الرجال في هذا الجانب فهن من يتقدمن بطلب الطلاق فيما أجازت القوانين المضافة حق المرأة في خلع زوجها بعد التخلي عن حقوقها وهو ما بات يخيف الرجال ويدفعهم إلى الموافقة على الانفصال قبل الوصول إلى قاعات المحاكم.

ويصف خبراء قانونيون واجتماعيون في العراق زواج القاصرات بأنه جهل، ويقولون إن أولياء أمورهن لو كانوا يدركون أهمية التعليم لفكروا فيه "باعتباره حصناً وحماية للبنت أفضل من الزواج بهذا العمر"، لكن الظاهرة موجودة وقد تتعزز قانونياً.

ويُرهق استمرار ظاهرة زواج القاصرات المجتمع العراقي، خصوصاً في المدن والأرياف البعيدة، بسبب ما تخلفه من مشاكل كثيرة، أبرزها الطلاق والوفاة أثناء الولادة، وتسجيل حالات انتحار وهروب لمتزوجات قاصرات من منزل الزوج.

ووفقاً لتقرير أصدرته الأمم المتحدة عام 2022، تزوجت أكثر من رُبع النساء العراقيات دون سن الـ18، ما يعادل امرأة متزوجة من كل أربع. وأكدت المديرة العامة لدائرة التنمية في وزارة التخطيط مها عبدالكريم أن عدد المتزوجات دون سن الـ15 ارتفع من نسبة 7.2 في المئة عام 2018 إلى 9.9 في المئة عام 2021. وربطت مها هذه النسب بقلة التعليم، والوضع المعيشي السيء، والعادات والتقاليد، إذ "لا يزال رب الأسرة يرى أن المكان المناسب للمرأة هو بيت الزوج حتى إذا لم ترغب في ذلك، في حين أنه يفترض أن تمنح حق تقرير مصيرها في سن البلوغ".

> أكثر من نصف المتسربين من الدراسة والذين يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في البلاد، إناث

وبات الزواج المبكر ورفض الأهل لتعليم بناتهن السببين الرئيسيين وراء التسرب المدرسي للفتيات.

ووفق تقرير لمنظمة اليونيسف لعام 2023، لا يختم نحو 30 في المئة من أطفال العراق مرحلة التعليم الابتدائي، ويزداد الوضع خطورة في المرحلة الثانوية، إذ تقترب معدلات التسرّب المدرسي إلى 45 في المئة، وقد تصل إلى 50 في المئة في بعض المناطق.

وكشفت مصادر تربوية عراقية عن إجراءات تم اتخاذها أسهمت في تحجيم ظاهرة التسرب المدرسي في العراق، مؤكدة أن وزارة التربية بالتعاون مع جهات أخرى ومنها اليونيسف تمكّنت من إعادة نحو 250 ألف طالب متسرب إلى المقاعد الدراسية في عام 2024، فيما أشارت إلى استمرار التحركات والجهود في هذا المجال، وسط دعوات إلى وضع حلول وخطط إستراتيجية للقضاء على الظاهرة. ويعد تسرب الطلاب من المدارس العراقية من الظواهر التي تعانيها البلاد، وقد أثرت على المستوى التعليمي، وأسهمت في انتشار الأمية، وكانت وزارة التربية العراقية قد حاولت وضع حلول لها وبدأت في الأعوام الماضية تعاونا مع اليونيسف لوضع برنامج يعالج التسرب المدرسي وتعميمه في جميع مديرياتها بعموم محافظات البلاد، وذلك للحد من اتساع الظاهرة.

وأطلقت الحكومة العراقية في بداية عام 2024 مبادرة "العودة إلى الدراسة"، التي تدعم الطلاب ممن تركوا المقاعد الدراسية للعودة إليها مجدداً، في خطوة تهدف إلى تطويق ظاهرة تسربهم، التي تفاقمت بشكل كبير بسبب ظروف مختلفة في البلاد أثرت على إمكانية الحصول على التعليم.

ظاهرة متفشية

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

المغرب في مهمة الاحتفاظ بالقمة عبر بوابة زامبيا بأمم أفريقيا 2025

ورقة الترشح على طاولة مالي وجزر القمر

توهج لافت

يسعى منتخب المغرب إلى الاحتفاظ بصدارة ترتيب المجموعة الأولى ببطولة كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم، التي تقام حاليا على ملاعبه، كما يرغب في مصالحة جماهيره، حينما يختتم مشواره بمرحلة المجموعات للمسابقة القارية.

الرباط - يلتقي المنتخب المغربي مع نظيره الزامبي، الاثنين، خلال الجولة الثالثة (الأخيرة) في المجموعة التي تشهد أيضا مواجهة لا تخلو من الإثارة والندية بين منتخبي مالي وجزر القمر.

وتمتلك المنتخبات الأربعة حظوظا في التأهل للأدوار الإقصائية للبطولة، حيث تنص لائحة المسابقة على تأهل متصدر ووصيف كل مجموعة من المجموعات الست بالبطولة لدور الـ16، بالإضافة إلى أفضل 4 منتخبات حاصلة على المركز الثالث في الدور الأول.

ويتربع منتخب المغرب، الساعي للفوز بلقبه الثاني في بطولة كأس أمم أفريقيا بعد نسخة عام 1976 بإثيوبيا، على قمة الترتيب برصيد 4 نقاط، متفوقا بفارق نقطتين على منتخبي مالي وزامبيا، صاحبي المركزين الثاني والثالث على التوالي، في حين يتواجد منتخب جزر القمر في المركز الأخير بنقطة وحيدة.

وتنص لائحة المسابقة أيضا على أنه في حال تساوي منتخبين أو أكثر في الرصيد، يتم الاحتكام لنتائج المواجهات المباشرة بينهما، وفي حال التعادل يتم اللجوء إلى فارق الأهداف في المباريات التي جرت بين المنتخبات المتساوية -في حال وجود أكثر من منتخبين متساويين- وفي حال عدم فض الاشتباك يتم النظر لفارق الأهداف التي أحرزها كل منتخب بجميع مبارياته في المجموعة، ثم عدد الأهداف المسجلة بكل لقاءات المجموعة، ثم في النهاية إجراء القرعة.

ويطمع منتخب المغرب في العودة إلى طريق الانتصارات، الذي غاب عنه في الجولة الماضية بتعادله -1 1 مع منتخب مالي، حيث ظهر نجومه بشكل باهت في اللقاء، وكان مهددا بالخروج خاسرا في الدقائق الأخيرة من اللقاء، وهو ما تسبب في شعور جماهيره بخيبة أمل كبيرة، خاصة وأن الفريق كان بعيدا أيضا عن مستواه المعتاد، رغم فوزه 2 – 0 على جزر القمر في المباراة الافتتاحية للبطولة.

وإذا فاز منتخب المغرب في اللقاء فسوف يحتفظ بالقمة دون النظر لنتيجة اللقاء الآخر بين جزر القمر ومالي، حيث سيرتفع رصيده إلى 7 نقاط، ليواجه في دور الـ16 أحد المنتخبات الحاصلة على المركز الثالث في أي من المجموعات الثالثة والرابعة والخامسة.

أما في حال تعادل منتخب المغرب، فسوف يحسم تأهله رسميا للدور المقبل، لكن ترتيبه بالمجموعة، سواء في الصدارة أو الوصافة، سوف يتحدد بناء على نتيجة مباراة مالي وجزر القمر، علما بأنه سوف يلتقي مع وصيف المجموعة الثالثة في دور الـ16، إذا أنهى مشواره في المجموعة بالمركز الثاني.

أما في حال خسارة المنتخب المغربي، فربما يتراجع إلى المركز الثالث، إذا فازت مالي على جزر القمر، لكن آماله ستظل قائمة بقوة في الصعود لدور الـ16 من خلال التواجد ضمن أفضل الثوالث، ليلاقي حينها أيّا من منتخبي مصر ونيجيريا، اللذين حسما صدارتهما للمجموعتين الثانية والثالثة على الترتيب، منذ الجولة الماضية.

مصير معلق

من جانبه يبحث منتخب زامبيا، المتوج باللقب عام 2012، عن تحقيق انتصاره الأول في البطولة، بعدما سقط في فخ التعادل 1-1 مع منتخب مالي في الجولة الأولى، قبل أن يتعادل دون أهداف مع منتخب جزر القمر في الجولة الماضية.

ويعني الفوز على المغرب تأهل زامبيا رسميا لدور الـ16، حيث سيرتفع رصيدها في تلك الحالة إلى 5 نقاط، على أن يتحدد ترتيبها في المجموعة بناء على لقاء مالي وجزر القمر.

أما التعادل فيعني أن مصير زامبيا سيكون معلقا بنتيجة مالي وجزر القمر، سواء بوجودها في الوصافة أو المركز الثالث، ومن ثم فإن أملها في التأهل سيظل قائما. وفي حال الخسارة، سيتحدد ترتيب زامبيا أيضا بناء على نتيجة اللقاء الآخر، فإذا فازت مالي سيتواجد منتخب "الرصاصات النحاسية" في المركز الثالث برصيد نقطتين، ليرتبط مستقبله في المسابقة بناء على نتائج باقي المجموعات الأخرى.

> هذا اللقاء يحمل رقم 23 بين المنتخبين على الصعيدين الرسمي والودي، حيث يمتلك المغرب الأفضلية في المباريات الـ22 السابقة

أما في حال تعادل منتخب مالي فسوف يتساوى برصيد نقطتين مع منتخب جزر القمر، ليحسم فارق الأهداف التي حققها كل فريق في مبارياته بالمجموعة، صاحبي المركزين الثالث والرابع.

ويحمل هذا اللقاء رقم 23 بين المنتخبين على الصعيدين الرسمي والودي، حيث يمتلك منتخب المغرب الأفضلية في المباريات الـ22 السابقة، التي بدأت في أكتوبر 1973، بتحقيقه 14 فوزا، مقابل 6 انتصارات للمنتخب الزامبي، في حين فرض التعادل نفسه على لقاءين فقط.

وبينما فاز المغرب بجميع مبارياته الخمس الأخيرة أمام منافسه، فإن آخر انتصار للمنتخب الزامبي على "أسود الأطلس" يعود إلى 16 يونيو 2019، عندما تغلب عليه 3 – 2 وديا.

وكان آخر فوز لزامبيا على المغرب في المباريات الرسمية يعود إلى الرابع من يوليو 1993، بالتصفيات المؤهلة لمونديال الولايات المتحدة عام 1994، حينما فاز 2 – 1، لكن ذلك لم يقف حائلا أمام تأهل المغاربة لتلك النسخة من كأس العالم.

وسبق للمنتخبين أن لعبا 3 مرات في بطولة كأس أمم أفريقيا، جاءت جميعها في مرحلة المجموعات، وكانت الغلبة فيها جميعا للمنتخب المغربي، الذي فاز 1 – 0 بنسخة البطولة عام 1986 في مصر، و3 – 0 بنسخة عام 1998 في بوركينا فاسو، و1 – 0 في النسخة الأخيرة التي استضافتها كوت ديفوار.

وسبق للمنتخبين أن تواجدا في مجموعة واحدة بالتصفيات الأفريقية المؤهلة لكأس العالم 2026 في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، حيث فاز المغرب 2 – 1 و2 – 0 في مباراتي الذهاب والإياب.

ورقة العبور

يسعى منتخبا مالي وجزر القمر لحجز ورقة الترشح لدور الـ16 في البطولة، حينما يلتقيان في الجولة الثالثة (الأخيرة) بالمجموعة الأولى من مرحلة المجموعات للمسابقة القارية.

ويبحث كلا المنتخبين عن تحقيق انتصارهما الأول في المجموعة من أجل بلوغ دور الـ16، حيث استهل منتخب مالي مسيرته في المسابقة، التي يشارك فيها للمرة الـ14، بالتعادل 1-1 مع منتخب زامبيا بالجولة الافتتاحية الاثنين الماضي، قبل أن يتعادل بالنتيجة ذاتها مع المنتخب المغربي الجمعة، في الجولة الماضية.

أما منتخب جزر القمر، الذي يسجل ظهوره الثاني في المسابقة القارية، فخسر 0 – 2 أمام منتخب المغرب في المباراة الافتتاحية للبطولة، يوم الأحد الماضي، ثم تعادل دون أهداف مع المنتخب الزامبي.

وقدم منتخب مالي أداء رائعا أمام المغرب، وكان من الممكن أن يخطف النقاط الثلاث في الدقائق الأخيرة، لولا تسرّع لاعبيه، وبرهن على أنه قادم للبطولة من أجل إحداث المفاجأة والمضي قدما فيها، سعيا للتتويج بها للمرة الأولى في تاريخه، رغم خيبة الأمل التي لحقت به عقب فشله في التأهل لنهائيات كأس العالم 2026 بالولايات المتحدة والمكسيك وكندا.

حسام حسن رهان مصر لتحقيق سجل قياسي جديد في كأس الأمم

أغادير (المغرب) - يتطلع منتخب مصر لتحقيق العلامة الكاملة عندما يواجه أنغولا، الاثنين، على ملعب أدرار في أغادير بختام مشوار الفريقين في المجموعة الثانية من النسخة الـ35 لكأس أمم أفريقيا 2025 لكرة القدم المقامة في المغرب حتى يوم 18 يناير المقبل.

يدخل الفراعنة اللقاء في صدارة المجموعة بعدما انتزعوا أولى بطاقات التأهل لدور الـ16 بتحقيق العلامة الكاملة بعد فوزين بسيناريو مثير على زيمبابوي بنتيجة 2 – 1 وجنوب أفريقيا بهدف من ركلة جزاء، وذلك ببصمة مميزة من نجمهم وقائدهم محمد صلاح، مهاجم ليفربول الإنجليزي.

ويسعى المنتخب المصري للحفاظ على سجله خاليا من الهزائم أمام منافسه الأنغولي الطامع بدوره في الخروج بنتيجة إيجابية، رافعا شعار لا بديل عن الفوز للتمسك بآماله في التأهل للدور الثاني حيث يملك نقطة واحدة بعد الخسارة 1 – 2 أمام جنوب أفريقيا في الجولة الأولى ثم التعادل 1 – 1 أمام زيمبابوي في الجولة الثانية. وستكون مباراة الاثنين هي المواجهة الثالثة بين الفريقين في كأس الأمم الأفريقية، حيث سبق أن فاز المنتخب المصري في أول مباراتين بنتيجة 2 – 1 في المجموعة الأولى لنسخة 1996 بجنوب أفريقيا، والفوز 2 – 1 في دور الثمانية بنسخة 2008 التي أقيمت في غانا.

وإجمالا التقى المنتخبان في 7 مواجهات ودية ورسمية، كان لمنتخب مصر الكلمة العليا بتحقيق 4 انتصارات مقابل 3 تعادلات، وسجل خال من الهزائم، وهو ما يجعل "الفهود" أمام تحد نفسي لكسر هذه العقدة التاريخية من أجل تحقيق فوز يرفع رصيدهم إلى 4 نقاط أملا في انتزاع إحدى البطاقات المؤهلة ضمن أفضل ثوالث في المجموعات الست للبطولة.

من جانبه، يستعد حسام حسن المدير الفني لمنتخب مصر لإجراء تعديلات على التشكيل الأساسي للفريق لإراحة لاعبيه بدنيا، وكذلك لتفادي المزيد من الإنذارات التي قد تؤدي إلى غياب لاعبين عن بداية مشوار الفريق في الأدوار الإقصائية خاصة الثنائي محمود حسن تريزيغيه ومروان عطية اللذين حصلا على إنذار خلال مواجهة زيمبابوي. وسيغيب عن مواجهة أنغولا أيضا الظهير الأيمن محمد هاني لحصوله على بطاقة حمراء بعد إنذارين في مواجهة جنوب أفريقيا.

> حسام حسن المدير الفني لمنتخب مصر يستعد لإجراء تعديلات على التشكيل الأساسي للفريق لإراحة لاعبيه بدنيا

ويملك حسام حسن مدرب الفراعنة عددا من الأوراق البديلة المميزة التي يمكن الاعتماد عليها مثل مصطفى محمد مهاجم نانت الفرنسي، وأحمد فتوح ظهير أيسر الزمالك، وإبراهيم عادل جناح فريق الجزيرة الإماراتي وثنائي بيراميدز مهند لاشين ومصطفى فتحي إضافة إلى أسامة فيصل مهاجم البنك الأهلي، ومحمد شحاتة لاعب الزمالك، وحارسي المرمى مصطفى شوبير لاعب الأهلي وأحمد الشناوي لاعب بيراميدز بطل أفريقيا هذا العام.

في الجهة المقابلة، يعتمد الفرنسي باتريس بوميل المدير الفني لأنغولا على عناصر هجومية مثل الثلاثي مبالا نزولا وجيلسون دالا ومانويل بينسون، إضافة إلى أوراق رابحة على مقاعد البدلاء مثل كريستوفاو مابولولو وشيكو بانزا لاعب الزمالك المصري، وزيتو لوفومبو.

كما يطمح منتخب جنوب أفريقيا لتأمين بطاقة تأهله لدور الـ16 عندما يواجه نظيره زيمبابوي، في مدينة مراكش، بختام مشوارهما في المجموعة الثانية للمونديال القاري. ويتسلح منتخب زيمبابوي بأسلحة مميزة في خط الهجوم مثل الثنائي نوليدج موسونا وماكولي بون مع لاعب الوسط النشيط برانس دوبي.

في الجهة الأخرى، يملك هوغو بروس مدرب جنوب أفريقيا عناصر مميزة فنيا في مختلف الخطوط بدءا من حارس المرمى رونوين ويليامز مرورا بظهيري الجنب خوليسو مورداو يمينا وأوبري موديبا يسارا، وصخرة الوسط تيبوهو موكوينا، ورأس الحربة لايلي فوستر، مهاجم بيرنلي الإنجليزي، والجناحين تشيبانغ موريمي وأوزوين أبوليس.

وقبل هذه المواجهة التقى الفريقان في 19 مباراة ودية ورسمية، كانت كفة جنوب أفريقيا الأرجح نسبيا بالفوز 8 مرات مقابل 7 انتصارات لزيمبابوي وكان التعادل حاضرا في 4 مواجهات أخرى.

رقم صعب

التمثيل القاري ليس خيارا ثانويا.. كان المغرب يرسم خارطة جديدة للمواهب الأفريقية

الرباط - لطالما كانت أوروبا الحلم النهائي للاعبي كرة القدم الأفارقة الطامحين؛ الهجرة شمالا كانت الطريق الأقصر نحو الشهرة والاعتراف والثراء، لكن كأس أمم أفريقيا 2025، التي يستضيفها المغرب في واحدة من أكثر النسخ تنظيما وطموحا في تاريخ المسابقة، تكشف بوضوح أن مسار الهجرة الكروية لم يعد أحادي الاتجاه، فثمة عودة رمزية وواقعية إلى الجذور، وإعادة تعريف لمعنى النجاح والانتماء في كرة القدم الأفريقية.

تأتي هذه النسخة في سياق قاري ودولي بالغ التعقيد... توترات جيوسياسية وضغوط اقتصادية ونقاشات حادة حول الهجرة والهوية، وتزايد الإحساس لدى فئات واسعة من الشباب الأفريقي بأن الهجرة باتت قدرا لا خيارا، وسط هذا المناخ تتحول كأس أمم أفريقيا من مجرد بطولة رياضية إلى مساحة رمزية تطرح فيها أسئلة الانتماء والفرص والعدالة ومكانة أفريقيا في النظام الكروي العالمي.

منذ انطلاقها عام 1957، حملت البطولة مشروعا وحدويا واضحا، رافق موجة استقلال الدول الأفريقية وسعيها لبناء رموز سيادية خاصة بها، ومع تعاظم الاحتراف وتدويل كرة القدم، أصبحت البطولة مرآة لتحولات أعمق، لعل أبرزها الهجرة الكروية المكثفة نحو أوروبا، وتشير التقديرات إلى أن آلاف اللاعبين الأفارقة يغادرون القارة سنويا في سن مبكرة، والكثير منهم يغادرون بدافع الحلم، وبعضهم يقع ضحية شبكات وساطة غير قانونية، لينتهي بهم المطاف في الهامش الرياضي والاجتماعي.

لكن كأس أمم أفريقيا 2025 تؤكد أن هذا الواقع لم يعد يختزل في صورة النزوح الدائم، فالكثير من لاعبي المنتخبات المشاركة هم من أبناء الشتات، ولدوا أو تكونوا كرويا خارج بلدانهم الأصلية، لكنهم اختاروا تمثيل جذورهم الأفريقية، هذا الحضور لم يعد استثنائيا، بل أصبح عنصرا بنيويا في تركيبة المنتخبات، خصوصا لدى دول شمال وغرب القارة، حيث الروابط التاريخية مع أوروبا ما زالت تلعب دورا حاسما.

اللافت في النسخة الجديدة هو أن هذا الرجوع لم يعد يقرأ فقط باعتباره خيارا اضطراريا لتفادي المنافسة الشرسة داخل المنتخبات الأوروبية، بل بوصفه قرارا واعيا تحكمه اعتبارات الهوية والمشروع الرياضي، والكثير من اللاعبين باتوا يرون في المنتخبات الأفريقية فضاء تنافسيا حقيقيا، وبطولة ذات قيمة تسويقية ورياضية متصاعدة، خصوصا مع تحسن التنظيم، وتنامي العائدات، وتزايد الاهتمام الإعلامي العالمي.

المغرب، بوصفه البلد المضيف، يمثل النموذج الأوضح لهذا التحول. فاستثماراته طويلة الأمد في البنية التحتية، والتكوين، والحوكمة الرياضية، جعلت المنتخب الوطني وجهة طبيعية لأفضل اللاعبين المغاربة، سواء المولودون داخل البلاد أو في أوروبا.

> تكشف البطولة مسارات هجرة داخل أفريقيا، حيث تلعب دوريات مثل جنوب أفريقيا والمغرب وتونس دورا في استقطاب المواهب

التجربة المغربية، التي توجت بإنجاز غير مسبوق تمثل في بلوغ المربع الذهبي في مونديال قطر 2022، عززت القناعة بأن الجمع بين التكوين الأوروبي والهوية الوطنية الأفريقية ليس تناقضا، بل مصدر قوة.

الأرقام تختلف واللون واحد

العرب
الإثنين 2025/12/29
السنة 48 العدد 13697

المقاهي الأردنية طقس يومي وامتداد للحياة

تحولت المقاهي في الأردن من أماكن ترفيه عابرة إلى جزء أساسي من الحياة اليومية، تجمع الشباب والعائلات للعمل والدراسة ومتابعة الرياضة، وتعكس تحولا اجتماعيا وثقافيا مدعوما بانتشار واسع وثقافة القهوة الراسخة، التي جعلت منها فضاءً للتواصل والراحة.

مساحة عمل وراحة

عمان - لم تعد المقاهي في الأردن مجرّد أماكن عابرة لاحتساء القهوة أو تمضية وقت قصير، بل تحوّلت خلال السنوات الأخيرة إلى جزء لا يتجزأ من تفاصيل الحياة اليومية للأردنيين، بمختلف فئاتهم العمرية والاجتماعية. فبعد أن كان ارتياد المقاهي مقتصرًا على شرائح محددة، أصبحت اليوم فضاءات مفتوحة تحتضن الشباب والعائلات والطلبة والموظفين وأصحاب الأعمال، وتؤدي أدوارًا اجتماعية وثقافية واقتصادية متزايدة الأهمية.

وشهدت المقاهي الأردنية حضورًا لافتًا خلال البطولات الرياضية الكبرى، إذ باتت محطات رئيسية لمتابعة الدوريات العالمية ومباريات المنتخبات الوطنية، سواء بالنسبة للمواطنين أو للجاليات العربية والأجنبية المقيمة في المملكة. ومثلما ازدحمت مقاهي عمّان خلال بطولة كأس العرب التي أقيمت في قطر، عادت الجماهير الرياضية، المحلية والوافدة، للتوافد بكثافة لمتابعة مباريات بطولة الأمم الأفريقية المقامة حاليًا في المغرب، لاسيما اللقاءات التي يشارك فيها منتخب عربي.

هذا الحضور الكثيف عزّز مكانة المقهى كجزء أصيل من ثقافة المجتمع الأردني وحضارة المكان، حيث لم يعد مرتبطًا بالترفيه فحسب، بل تحوّل إلى مساحة جامعة للقاء والتواصل والعمل والدراسة. وتشير بيانات وزارة الصناعة والتجارة والتموين الأردنية إلى وجود 4271 منشأة مرخّصة تمارس نشاط المقاهي في مختلف مناطق المملكة، ما يعكس اتساع هذه الظاهرة وانتشارها.

ويرتبط الأردنيون بعلاقة خاصة مع القهوة، إذ يُعد شربها طقسًا يوميًا متجذرًا في الثقافة المحلية. ووفق إحصائيات غرفة تجارة الأردن، يبلغ الاستهلاك السنوي من القهوة نحو 20 ألف طن، ما يفسّر المكانة المتقدمة التي تحتلها المقاهي في الحياة اليومية، بوصفها امتدادا للبيت وملتقى اجتماعيا دائما.

ويقول سيف عبدالمنعم، صاحب مقهى "السنترال" في وسط العاصمة عمّان، وأحد أقدم المقاهي الشعبية التي تأسست عام 1930، إن المقهى يمثّل جزءًا من ذاكرة المدينة الاجتماعية. ويضيف، وهو من الجيل الثالث الذي يدير المكان محافظًا على طابعه التراثي، أن المقاهي في الأردن تشكّل عنصرًا أساسيًا في نمط الحياة اليومية، ولاسيما في وسط العاصمة، حيث يفضل كثيرون اللقاء في المقاهي القديمة لما تحمله من عراقة وأجواء تعكس روح المكان.

ويشير إلى أن انتشار المقاهي الحديثة أثّر على عمل المقاهي التراثية، رغم محافظتها على طابعها الأصيل، إلا أنها لا تزال ملتقى لروادها لشرب القهوة والشاي، ومتابعة المباريات، وممارسة ألعاب شعبية كـ"الشدة"، بما يعزز دورها كمكان للتواصل الاجتماعي.

من جانب آخر، باتت المقاهي خيارا عمليا للموظفين والعاملين بنظام مرن. وتقول رهام حسين، الموظفة في القطاع الخاص، إنها تفضّل أحيانًا العمل من المقهى بدل المكتب، هربًا من الروتين والقيود التقليدية. وتوضح أن انتشار المقاهي المجهّزة بخدمات الإنترنت ومساحات العمل جعلها بيئة مناسبة للإنجاز والتركيز.

أما المواطن صلاح أبوالغنم، فيرى أن المقاهي تحوّلت إلى طقس اجتماعي يجمع الأصدقاء والأقارب، سواء لمتابعة المباريات أو تبادل الأحاديث، مؤكدًا أنها باتت مساحة للراحة وتخفيف ضغوط الحياة اليومية، واستعادة الذكريات الجميلة في أجواء ودّية.

وبالنسبة لطلبة الجامعات، أصبحت المقاهي بيئة بديلة للدراسة. وتوضح الطالبة راما محمد أن المقهى بات مساحة مريحة تقضي فيها جزءًا مهمًا من أسبوعها، حيث تلتقي بزملائها لحل الواجبات أو التحضير للامتحانات، فيما تختاره أحيانًا مكانًا للقراءة الهادئة. وتؤكد أن التصميم الداخلي والإضاءة والأجواء العامة تساعدها على التركيز، معتبرة ذلك جزءًا من نمط حياتها.

ويشاركها الرأي الشاب أحمد سيف، العامل في القطاع الخاص، الذي يعتبر ارتياد المقهى حاجة اجتماعية ونفسية بعد ساعات العمل الطويلة. ويقول إن الجلوس مع الأصدقاء في المقهى يمنحه فرصة لكسر رتابة اليوم واستعادة التوازن، في ظل صعوبة اللقاء في المنازل بسبب ضغوط الحياة وتسارع وتيرتها.

من جهته، يرى المستثمر في قطاع المقاهي أنس أبوعودة أن التوجه العالمي نحو "بيوت القهوة" انعكس بوضوح في الأردن، حيث أصبحت المقاهي الحديثة تنافس التقليدية من حيث جودة المشروبات، وتنوع الخدمات، والتصميم، ما خلق حالة من التنافس الإيجابي واستقطب شرائح واسعة من المجتمع. ويشير إلى أن المقهى لم يعد مكانًا للترفيه فقط، بل أصبح مساحة للعمل عن بُعد، وعقد الاجتماعات، والدراسة، وتنظيم الفعاليات الاجتماعية والعائلية.

ويؤكد الأكاديمي والخبير الاجتماعي الدكتور حسين الخزاعي أن ارتياد المقاهي يعكس تحولًا إيجابيًا في أنماط الحياة اليومية، حيث بات المقهى وسيلة للتواصل والتحاور وملتقى ثقافيًا، خصوصًا للشباب والطلبة، إضافة إلى دوره المتنامي في العمل والدراسة غير التقليديين. ويرى أن تنوّع أنماط المقاهي يسهم في شغل أوقات الفراغ بأنشطة اجتماعية إيجابية، ويعزز التفاعل المجتمعي.

«كان ضحك» ليلة كوميدية استثنائية في الرباط

الرباط - تستعد العاصمة المغربية الرباط لاستقبال أمسية فنية استثنائية يوم 3 يناير المقبل، ستُسجَّل ضمن أبرز العروض المسرحية لهذا الموسم، إذ يفتح مسرح محمد الخامس أبوابه لعرض "كان ضحك"، الذي يُعد مناسبة فريدة لعشاق الكوميديا والمشاهد الساخرة، ولجمهور يبحث عن فسحة من البهجة بالتزامن مع بداية العام الجديد.

ويجمع العمل نخبة من ألمع نجوم الكوميديا المغربية، يتقدمهم الثنائي المحبوب إدريس ومهدي، المعروفان بقدرتهما الخاصة على المزج بين السخرية الذكية والتواصل المباشر مع الجمهور، إلى جانب الكوميديين البارزين رشيد رفيق وسيمو السدراتي، اللذين سيضيفان جرعة أخرى من الطرافة والمرح، كما تشارك الفنانة غيثة كيتان لتمنح العرض لمستها المميزة، في مشهد فني متكامل يجمع بين التنوع والأداء الرفيع. ولا تقتصر العروض على الكوميديا وحدها، بل تتضمن أيضًا عروضًا مسرحية قصيرة ومقاطع موسيقية تُثري الفضاء الفني وتخلق حالة من التفاعل المباشر بين الفنانين والجمهور. هذا المزج بين الضحك والموسيقى يحوّل الأمسية إلى تجربة متكاملة، حيث تتداخل الفكاهة مع الألحان لتمنح الحضور لحظات من المتعة الراقية. وتشارك المغنية جايلان بإطلالة موسيقية خاصة، تضيف نكهة فنية متناغمة مع المشاهد الكوميدية، لتصبح الليلة محطة فنية شاملة تلبي مختلف الأذواق.

ويأتي هذا الحدث الفني في سياق الاحتفالات ببطولة كأس أمم أفريقيا، ليؤكد أن الكوميديا والفن المسرحي قادران على مواكبة الأحداث الكبرى، وتقديم رسالة فرح وترفيه للجماهير بعيدًا عن ضغوط الحياة اليومية.

مي كساب تبدأ رحلة جديدة في «نون النسوة»

القاهرة - بدأت الممثلة مي كساب تصوير أول مشاهدها في مسلسلها الجديد "نون النسوة"، المقرر عرضه ضمن السباق الرمضاني لعام 2026، ليكون إحدى أبرز محطاتها الفنية المقبلة. المسلسل من تأليف محمد الحناوي وإخراج إبراهيم فخر.

وتجسد مي في هذا العمل شخصية "لبيسه"، وهي شخصية تنتمي إلى بيئة شعبية مليئة بالتحديات، حيث تتقاطع قصتها مع قضايا إنسانية واجتماعية تعكس نبض الشارع المصري. وتشاركها البطولة نخبة من النجوم الذين يضفون على العمل تنوعًا فنيًا يثري التجربة ويمنحها أبعادًا متعددة.

وتأتي مشاركة مي كساب في "نون النسوة" بعد نجاحها في الموسم الرمضاني الماضي من خلال مسلسل "المداح 5" إلى جانب الفنان حمادة هلال. وقد شهد العمل أحداثًا مشوقة تمثلت في مواجهة صابر المداح لبنات إبليس، وسط أجواء من الإثارة والغموض، إضافة إلى تطورات مفاجئة في حياته الشخصية، ما جعل المسلسل يحظى بمتابعة جماهيرية واسعة.

وتترقب مي كساب عرض الجزء الجديد من مسلسل "اللعبة"، بطولة شيكو وهشام ماجد وإخراج معتز التوني، وهو العمل الكوميدي الذي حقق نجاحًا كبيرًا في مواسمه السابقة، ومن المتوقع أن يواصل جذب الجمهور بفضل حبكته الطريفة وروح المنافسة التي تميز أحداثه. وعلى صعيد السينما قدمت مي مؤخرًا فيلم "آخر رجل في العالم"، بطولة أيمن منصور وقصة إسلام شتا وإخراج أسامة عرابي.

روما تفرض رسوما لزيارة نافورة تريفي

روما - أعلن عمدة روما روبرتو جوالتيري أن السياح سيُطلب منهم دفع رسم دخول قدره 2 يورو ابتداءً من شهر فبراير المقبل لزيارة نافورة تريفي الشهيرة، أحد أبرز المعالم السياحية في العاصمة الإيطالية وأكثرها جذبًا للزوار من مختلف أنحاء العالم. ويأتي هذا القرار في إطار خطة تهدف إلى تنظيم حركة السياح والحفاظ على الموقع التاريخي الذي يستقطب الملايين من الزوار سنويا، حيث غالبًا ما يشهد ازدحامًا كبيرًا خاصة في مواسم العطل والأعياد.

وأوضح جوالتيري، خلال مؤتمر صحفي، أن الدخول إلى هذا المعلم سيظل مجانيًا لسكان مدينة روما الكبرى، في خطوة تعكس حرص السلطات على التوازن بين حماية التراث وتسهيل وصول السكان المحليين إليه. وبيّن أن التذكرة ستمنح الزوار حق الوصول إلى المنطقة المقابلة لحوض النافورة، بما يتيح لهم الاستمتاع بالمكان بطريقة منظمة وأكثر أمانا.

ولم يقتصر القرار على نافورة تريفي فقط، إذ أضاف العمدة أن خمسة مواقع ثقافية أخرى، كانت متاحة مجانًا في السابق، ستبدأ هي الأخرى بفرض رسوم دخول على السياح اعتبارًا من الأول من فبراير، وهي: فيلا ماكسينتيوس، ومتحف نابليون، ومتحف كارلو باراكو، ومتحف بيلوتي، ومتحف كانونيكا.

ويُتوقع أن يسهم هذا الإجراء في تعزيز موارد المدينة المالية المخصصة لصيانة المواقع التاريخية، وضمان استدامة المعالم الثقافية التي تُعد جزءًا من الهوية الإيطالية. كما يُنظر إليه كخطوة عملية لمواجهة التحديات المرتبطة بالسياحة الجماعية، من خلال تقليل الضغط على هذه المواقع وضمان تجربة أكثر جودة للزوار.

صباح العرب

كرم نعمة
كاتب عراقي

أصدقائي الموتى في رأس العام

لطالما كنت حذرًا وأنا أتأمل رزنامة أرقام هواتف أصدقائي مع نهاية كل عام، حذرًا يبلغ حدّ الخوف. وعلى مدى سنوات لم أجرؤ على حذف أي رقم يعود إلى صديق راحل. كأن الحذف اعتراف نهائي، وكأن الإبقاء نوع من المقاومة الصغيرة، أو خدعة بريئة للنفس. هكذا بقيت الأرقام، أشبه بوهم يشبه الموت نفسه: يقين يتخفى في هيئة شك. محاولة يائسة للإقناع بأنهم ما زالوا هناك، كما كانوا، وأن بإمكاني أن أرسل لهم جملة قصيرة، سعيدة، في رأس عام جديد.

لم تكتف الروائية شهد الراوي بتحسس عمق وجعنا على الذين نفتقدهم إلى الأبد، بل جعلتنا نقتسم الحزن مع بطلتها على موت أمها في "فوق جسر الجمهورية" وهي تكتب: عندما يموت الناس الذين نحبهم لا نشعر بالحزن وحده، نشعر بالذنب أيضا، بشيء من الخجل من موتهم، كما لو أننا نستهلك حصتهم من الأوكسجين!

استذكرت هنا صرخة فتحية بطلة فؤاد التكرلي في "المسرات والأوجاع" وهي تفقد حبيبها المنقذ شهيدا في جبهات القتال، لم تجد غير جملة عتب وغضب من الموت نفسه متسائلة في وجع أناني "إلا هو؟" أيها الموت لديك الملايين من البشر لتأخذهم لماذا اخترت حبيب فتحية التي تترقب عودته من جبهات القتال؟

هذا العام كانت جردة الحساب ثقيلة كأن أصدقائي الموتى لم يرتكبوا أي خطأ في حياتهم حتى لحظة موتهم، خطأهم الوحيد في حياتهم أنهم ماتوا وتركوا أرقام هواتفهم حية لدي. هكذا بقيت تلك الأرقام أثقل من الحزن نفسه. رزنامة هواتف الأصدقاء الراحلين صارت أطول بكثير من قائمة الأحياء. سأكتب هنا حزمة من أسماء أصدقائي الموتى، قد لا تعني شيئا لقارئ هذا المقال. لكنهم وهم موتى يستحوذون على ذاكرتي الحقيقية وذاكرة هاتفي، بينما لا يمكن لي أن أسمع أصواتهم من العالم الآخر.

اكتشفت ذلك فجأة، بلا تمهيد. شعرت بوطأة الموت من جديد وأنا أعد رسالتي القصيرة في السنة الجديدة، ذلك الموت الذي لا يتوقف، ولا يلتفت، ولا يعبأ بقلبي المسكين وهو يكسره مرة تلو الأخرى. يأخذ أصدقائي ويمضي. ويترك لي أرقامًا صامتة، تتحول إلى نوع من الوهم، إلى خدعة لروح تطوف فوق الرأس ولا تجد أين تحط.

أسأل نفسي في رأس السنة: هل سأكتب تهنئة لأصدقائي الموتى؟ وإلى أين ستصل؟

هل يكفي أن أرسل رسالة قصيرة، أعرف مسبقًا أنها تعبر عن عجز اللغة، لكنها صارت حاجة تكنولوجية أكثر منها اجتماعية؟ رسالة لموتى يرقدون بسلام، أو هكذا نحب أن نصدق. هل يعرف الميت ما يحدث لنا؟ هل يشعر؟ هل يبتسم؟ لو كان بإمكاننا معرفة الأجوبة عن هذه الأسئلة لانتهت مشاكل الخليقة برمتها. لم يحدث أن عاد ميت ليخبرنا بما رآه، أو ما حدث له، أو إن كانت رسائلنا تصل فعلًا.

ما نقص هذا العام ليس الأسماء ولا الأرقام، بل قدرتنا على الاحتمال. رأس السنة لم يعد موعدًا للوعود، بل لحساب الخسائر. جردة الوجوه التي لم تعد ترد، ولا تبتسم، ولا تخطئ في التوقيت، ولا تسأل: "أين أنت؟".

نحن لا نخاف الموت بقدر ما نخاف اعتياده؛ أن يتحول إلى خبر عابر. أن يصبح اسم الصديق ذكرى بلا رعشة. أن نفتح الهاتف فلا نشعر بالصدمة، بل بالروتين.

الهاتف لم يعد وسيلة تواصل، بل أرشيف فَقْد. ذاكرة باردة تحفظ كل شيء بلا انفعال، وتترك لنا عبء التفسير والحزن.

المفارقة أن التكنولوجيا، التي وُعدنا بها لتقريب المسافات، عمّقت الوحشة. الهاتف الذكي يحتفظ بالأموات بذكاء لا يعرف الشفقة. لا يسأل عن مصيرهم، لا يحزن، لا يمسحهم. يترك القرار لنا.

ونحن، بدافع الوفاء أو العجز أو الخوف من الفراغ، نؤجل الحذف كما نؤجل الاعتراف. كأن بقاء الرقم يعني بقاء الصديق. وكأن المسح موتٌ ثانٍ لا نحتمله.